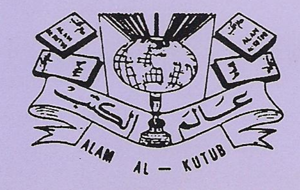
تحريم النظر في كتب الكلام

للإمام

موفق الدين ابن قدامة المقدسي

تحقيق

عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية



تحريم النظر في كتب الكلام

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار عالم الكتب - الرياض شارع ٨٠
تقاطع شارع التحلية - ص.ب: ٦٤٦٠
هاتف: ٤٦٥١٦٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيباً﴾[2].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم. ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[3].

قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. فقالوا يا

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: آية ١.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٧٠.

رسـول الله من يأبى؟ قـال: من أطاعني دخـل الجنة. ومن عصـاني فقد أبى»[1].

وبعد:

فقد اطلعت على هذه الرسالة التي قمت بتحقيقها. مخطوطة بخط جيد. ولاهتمامي بمسألة علـم الكلام، ولاطلاعي على دوره السلبي في العالم الإسلامي: رأيت من المناسب والمفيد إن شاء الله أن تحقق وتنشر بين المسلمين كـوثيقة أخـرى من وثائق وبيـانات علمـاء المسلمين الذين تصدوا لعلم الكلام وذموه وعابوا المشتغلين به: بأن هذا العلم بدعة تؤدي إلى تنازع المسلمين وتشاجرهم وتفرق وحدتهم.

وبـالفعل فقـد نجمت عنه خصـومات ونـزاعـات كثيـرة في الـوسط الإسلامي أدت إلى تفرق المسلمين وانقسامهم إلى طوائف عديدة وفرق، كل منهم يضلل الآخر ويفسقه ويحكم بخروجه عن الملة أحياناً.

وفي ضوء ذلك كله رأيت من المناسب نشر هذه الرسالة التي يدعو فيها مصنفها إلى العودة إلى منابع الدين الصافية، وانتهـاج منهج السلف الصالح في تلقي أمور دينهم وعقيدتهم. بصورة نقية عن غبش البدع ونبذ المناهج الدخيلـة التي أفسدت على المسلمين دينهم.

وتتحدث أيضاً عن أثر علم الكلام على العلماء وليس على العامة فحسب. فقد أدى علم الكلام بأبي الوفاء ابن عقيل رحمه الله إلى الوقوع في العديد من الانحرافات في الدين كما كان الأمر كذلك بالنسبة للرازي وإمـام الحرمين والغـزالي رحمهم الله تعالى، والـذين ظهر لهم في نهـاية المطاف فساد علم الكـلام وعيّه وقصـوره، فصرحـوا بحقيقة ذلـك وأبدوا ندمهم الشديد على إفناء العمر في تعليمه وتعلمه كما سنذكر مفصلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

ومن ثم تضمن الكلام في هذه الرسالة التعنيف الشديد عليه وتوبيخه وتبديعه لاشتغاله بعلم الكلام حتى أدى به ذلـك إلى ذم المتبعين للسلف ورميهم بالتقليد الأعمى. وتعتبر هذه الرسالة واحدة من صيحـات عديـدة للعلماء المعاصرين لابن عقيل الذين لم يحل لهم هذا الموقف من أحد أبناء مذهبهم هذا المذهب الذي، لا يزال أبناؤه يكبرون إمامه إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله ويجلونه ويعتبرون بموقفه الثابت من المريسي وابن أبي دؤاد والجهم بن صفوان الذين كانوا من أوائل المتأثرين بعلم الكلام تأثـراً عظيماً.

إن موقف الإمام أحمد في العقيدة أعطى هذا المذهب طابعاً تقليدياً وموقفاً متشدّداً من البدعة بحيث صار لزاماً على كل متمذهب بمذهبه أن يقف من البدعة موقفاً مماثلاً له. ومن هنا نقم الكثيرون على أبي الوفـا وتلميذه أبي الفرج ابن الجوزي اللذين أبديا خروجاً عن المنهج الحنبلي في العقيدة وميلهما إلى التأويل في الصفات وغير ذلك، مما اعتبر مخالفة عظيمة للإمام الذي كان ينهى عن مثـل ذلك، والـذي رد على الجهمية والزنادقة لوقوعهم في مثل هذا التأويل.

هذه الرسالة

لقد سبق أن قام المستشرق «جورج المقدسي» بتحقيق هذه الرسالة تحقيقاً جيداً معتمداً في ذلك على النسخة الموجودة في مكتبة «آصفية» بحيدر آباد.

والتي كتبت بخط عبدالرحمٰن بن عثمان بن راشد بن عثمان آل جلاجل السني النجدي في شهر رمضان من السنة ١٣٠٤ هـ، والذي كان قابلها بالتالي على أصل عنده ليست متوافرة اليوم. وقام بتصحيحها مثبتاً التصحيح في النص مبيناً الخطأ في الحاشية حيث يقول دائماً: «في الأصل: كذا..».

وتوجد النسخة بحيدر آباد في مكتبة آصفية ضمن مجاميع (أ) ٣ تصل إلى ١/٧ (أ) - ٣/٨ (أ). وهي متآكلة بعض الشيء بسبب الديدان غير أن التآكل لم يصب الكلمات كثيراً مما يبقي معه السهولة على قراءة النص.

وكل ورقة من أوراق المخطوط تحتوي على خمسة وعشرين سطراً. والخط واضح ومفهوم.

وقد قام المستشرق جورج المقدسي سنة ١٩٥١ م بتحقيق الرسالة أثناء إقامته في حيدر آباد، ثم كتبها بخط جميل وألحقها بكتاب تضمن الرسالة باللغتين: العربية والإنكليزية. ثم صدرت الطبعة الأولى منه سنة

١٩٥٦ م في الولايات المتحدة الأمريكية(١). الجدير بالذكر في هذا الكتاب ما جاء فيه من اعتذار جورج المقدسي عن عدم استطاعته طباعة أحرف الرسالة بالعربية بسبب عدم إمكانية مؤسسة الاستشراق الغربية من ذلك فاكتفى بكتابتها بخط يده.

هذا وقد قمت بتحقيق هذه النسخة وتصحيحها وتخريج آياتها وأحاديثها، وقدمت لها بمقدمة تتعلق بموضوع هذه الرسالة وهو علم الكلام ومصادره وآثاره في الإسلام. وقمت كذلك بوضع فهارس للآيات والأحاديث مفيدة.

أسأل الله أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. وأن يحسن خواتيمنا ويجعلها على السنة من غير إحداث ولا تبديل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه عبدالرحمٰن دمشقية

في ٥ ذي الحجة من السنة ١٤٠٩ هـ

---

(١) طبعت في E.J.W. GIBB. MEMORIAL.

ترجمة المؤلف

هو شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد: عبدالله بن أحمد ابن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبدالله بن حذيفة بن محمد ابن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه العدوي القرشي نسباً الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي موطناً[1] الحنبلي صاحب كتاب المغني ذي الشهرة.

إذن كانت أسرته منحدرة من سلالة الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهي أسرة مشهورة بالعلم والفضل وصلاح الحال.

وكان والده رحمه الله تعالى من العلماء الصالحين وكان خطيباً على مسجد جماعيل قبل هجرته. ولد بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في شعبان.

وهاجر مع أهله وأقاربه وله عشر سنين، وحفظ القرآن، ولزم الاشتغال من صغره، وكتب الخط المليح، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٣٢/٢ - ١٤٩)، سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، البداية والنهاية ٩٩/١٣ - ١٠١، دول الإسلام ٩٣/٢، معجم البلدان (١١٣/٢)، مرآة الزمان (٦٢٧/٨)، فوات الوفيات (٤٣٣/١)، شذرات الذهب (٨٨/٥)، عقود الجمان (١٧) الورقة (٤٤٠)، الأعلام (٢٢٢/٩).

ورحل هو وابن خاله الحافظ عبدالغني في أول سنة إحدى وستين في طلب العلم إلى بغداد.

وكان عالم أهل الشام في زمانه.

قال ابن النجار: «كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة حجة نبيلاً، غزير الفضل، نزهاً ورعاً عابداً، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه[1]».

وكان رحمه الله قوياً على أهل الباطل، رحيماً بأهل الحق، لا يجامل ولا يخضع لغير سلطان الحق.

وكان ذا أدب رفيع وفهم دقيق، وذوق سليم، وشغف بطلب العلم، دفعه شغفه من صباه إلى طلب العلم والنصب في ذلك. ومفارقة الأهل والوطن، فرحل إلى بغداد والموصل ومكة المكرمة. ثم عاد إلى العراق ثم إلى دمشق.

وكان من المجاهدين بالسيف والسنان كما جاهد بالقلم واللسان، فقد شارك هو وأخوه أبو عمر في الجهاد ضد حروب الصليبيين، وكان صلاح الدين يجعل لهما خيمة مستقلة. فهو في المحراب تارة يتهجد ويتعبد الله، وعلى المنبر تارة أخرى يهز مشاعر السامعين ويحرك النفوس ويدفعها للبر والتقوى، وفي حلقة العلم يدرس ويفتي ويحقق المسائل ويوضح الغامض، وفي مجلس المناظرة يدفع الشبه ويقرع الحجة بالحجة، ويقيم البراهين والأدلة على صحة قوله.

ومن قوة شخصيته وكمال هيبته أن أكابر العلماء من أقرانه كانوا يجلونه كل الإجلال ويجلسون أمامه جلسة المتعلم من المعلم كما كان يفعل ابن أخته العماد، وابن أخيه أبو الفرج.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٦٦ - ١٦٧.

ولم يرفعه إلى درجة الاجتهاد في المذهب وسعة الاطلاع وقوة الحجة والثبات على الحق إلا قوة شخصيته، حتى إن سلطان العلماء العز بن عبدالسلام يقول إنه لم يجرؤ على الفتوى حتى حاز كتاب المغني. وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول أكثر من مرة «لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق»[1].

آثاره العلمية:

لقد خلف الموفق آثاراً علمية ضخمة، ومن أعظمها:

١ ـ كتاب المغني حيث شرح فيه مسائل الخرقي. طبع عدة طبعات ثم أضيف عليه الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي.

٢ ـ الكافي: طبع في ثلاثة مجلدات.

٣ ـ المقنع: وهو في المذهب مجرد من الدليل. طبع في ثلاثة مجلدات أيضاً.

٤ ـ العمدة في الفقه: في كتاب صغير يعتبر مناسباً للمبتدئين.

٥ ـ روضة الناظر في أصول الفقه: وقد طبع محققاً تحقيقاً جيداً بتحقيق عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد. وكان قد طبع عدة مرات من قبل بتعليق الشيخ عبدالقادر بدران.

٦ ـ مختصر علل الحديث.

٧ ـ القنعة «قنعة الأريب في الغريب».

٨ ـ الرقة والبكاء.

٩ ـ كتاب التوابين.

١٠ ـ كتاب نسب قريش أو «القرشيين».

١١ ـ الاستبصار في نسب الأنصار.

١٢ ـ مختصر الهداية.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١٣٣/٢) وما بعدها.

١٣ ـ مختصر في علل الحديث.
١٤ ـ كتاب في القدر.
١٥ ـ فضائل الصحابة.
١٦ ـ المتحابون في الله.
١٧ ـ مسألة العلو.
١٨ ـ البرهان في مسألة القرآن.
١٩ ـ الاعتقاد.
٢٠ ـ ذم التأويل حققه بدر البدر.
٢١ ـ جواب مسألة وردت من صرخد في القرآن.
٢٢ ـ مسألة تحريم النظر في كتب أهل الكلام.
٢٣ ـ لمعة الاعتقاد شرحه الشيخ محمد بن عثيمين.
٢٤ ـ مقدمة في الفرائض.
٢٥ ـ مناسك الحج.
٢٦ ـ صفة الفلق.
٢٧ ـ ذم الموسوسين.
٢٨ ـ فضائل العشر.
٢٩ ـ مجموعة فتاوى.
٣٠ ـ مشيخة شيوخه.
٣١ ـ مشيخة أخرى.
٣٢ ـ عاشوراء.
٣٣ ـ وصيته.

عاش الموفق رحمه الله في الفترة ما بين **٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ** وهذه الفترة اتسمت بالأحداث والتقلبات السياسية. إذ في هذه الفترة انتهت دولة الفاطميين في مصر التي بدأت بتولي المعز لدين الله الفاطمي سنة **٣٥٩ هـ** وانتهت بوفاة العاضد. وكان للموفق من العمر عند نهايتها ستة وعشرين عاماً.

كذلك شهد الموفق آخر الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين. كذلك شهد تناحر الأمراء على البلاد الإسلامية.

هذا وقد كان للموفق رحمه الله أولاد ذكور وإناث ماتوا كلهم في حياته، ولم يعقب من أولاده سوى ولد يقال له عيسى، فإنه خلف ولدين صالحين وماتا وانقطع عقبه من الأولاد فلم ينقطع أثره من العلم.

وتوفي الموفق رحمه الله تعالى يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق وصلي عليه من الغد. وحمل إلى سفح قاسيون فدفن به. وكان له جمع عظيم امتد الناس في طرق الجبل فملؤوه[1].

رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وجعلنا وإياه من السعداء في الدارين.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١٤٢/٢).

نظرة معاصرة إلى علم الكلام

إنه لمن المؤسف حقاً أن يبقى الجدال حول علم الكلام «الجدال المنطقي الأرسطي» بين المسلمين إلى يومنا هذا. في حين أننا نجد كثيرين من مفكري الغرب في القرن السابع عشر وما بعده، نادوا بضرورة التخلي عن المنطق الجدلي الأرسطي وطرحه كشرط أساسي للمضي قدماً في ركب التقدم الصناعي.

لقد اعتبر مفكرو الغرب الفكر الأرسطي المنطقي عقبة كبرى تحول دون تحقيق أي نهضة فكرية أو صناعية. فكان أن قام فرانسيس بيكون وديكارت وباسكال وهيوم وغيرهم بنقد الفكر الأرسطي واعتباره مسئولاً مسئولية كبرى عن سر الظلمات التي مرت بها أوروبا في العصور الوسطى، ومسئولاً عن جمود الفكر البشري وإفساده، وعن منع إضافة أي معرفة أو معلومات يمكن أن يكتسبها الإنسان.

ولقد ذكر بيكون إلى أن القياس الذي هو ركيزة الفكر الأرسطي مجدب وعقيم ولا يضيف شيئاً جديداً إلى الذهن وإن هذا القياس كان مسئولاً عن كل الأخطاء النظرية التي ترتبت على منطق أرسطو. حيث أن جميع العلوم السياسية والاقتصادية والأخلاقية كانت تنضوي تحت علم المنطق والفلسفة الذي كان مهيمناً على سائر أنواع العلوم ولا تفصل عنه.

من خلال هذا كله حكم مفكرو وفلاسفة الغرب على هذا المنطق بأنه قديم ويمثل مرحلة مضت فلا ضرورة إليه على الإطلاق. ونادوا بفصل العلوم السياسية والطبية وغيرها عنه.

ومن المعلوم أن مناهج البحث الحديثة تهتم بإضافة معارف ومعلومات جديدة تنتقل بها من معلوم إلى مجهول. ثم بالتجربة والبحث يصير هذا المجهول معلوماً، ومن ثم ينتقل عنه إلى مجهول جديد بغية اكتشافه ومعرفته وهكذا. . . مما يؤدي إلى زيادة محصلة المعارف الإنسانية واتساع دائرة المعلومات البشرية.

وهذا بخلاف ما عليه المنهج المنطقي القديم فإن الهدف عند المنطق القديم إنما هو واحد. فإنه بمجرد انتقاله من المعلوم إلى المجهول الذي يصير معلوماً فإنه يتوقف عند هذه المرحلة ولا يتجاوزها. وهذا أهم أسباب جمود الفكر الذي يتسم به هذا المنطق القديم. حيث لا قابلية له إلى مزيد من التطور والتحديث[1].

إن هذه الحتمية التي نادى بها المفكرون الغربيون لم تكن وليدة أفكارهم ولا كان بإمكانهم تكشف ذلك والمناداة بالمنهج الاستقرائي كبديل عنه لولا الاستفادة في ذلك من مواقف مفكري المسلمين من المنطق وكشف عوره وسلبياته.

ولقد كان ابن تيمية من أبرز من كشف قصوره وسلبياته ونقد تصورات أرسطو وتصديقاته، وأكد على أن أبحاث أرسطو في ذلك غير مجدية وعقيمة، وأن كل ما ذكره أرسطو وأتباعه من صور القياس لا فائدة فيها سوى إتعاب الذهن وتضييع للزمان[2] ومن ثم دعا إلى المنهج الاستقرائي الاستنتاجي الذي يرجع إليه الفضل في تقدم العلوم التجريبية في عصرنا هذا!.

---

(١) يمكن مراجعة تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم (٤٨ و ٥٩ و ٦١ و ٩١) وكتاب الموسوعة الفلسفية المختصرة (١٤٧ - ١٤٩) ط دار القلم - بيروت.
(٢) الرد على المنطقيين (٢٤٨).

هذه لمحة أردت أن أبين من خلالها ضرورة إعادة النظر في هذا العلم الذي أدخله المسلمون في أشرف العلوم. لقد أدخلوه في العلم الغيبي الإلٰهي حيث صار يضع القوانين للذات الإلٰهية من بنان عقله المخلوق القاصر الذي لا يزال يقف حائراً أمام الكثير من علوم الشهادة وزعموا تحكماً أن من خصائصه: الدفاع عن العقيدة بالحجج العقلية.

إننا يجب أن ننظر إلى هذا العلم نظرة فاحصة نستعرض من خلالها ما خلفه من آثار سلبية ومنازعات وخصومات وتفريق الدين ونشؤ للأحزاب والشيع. وأن يكون هذا الاستعراض مقروناً بأقوال مئات بل وآلاف العلماء الذين ذموه وحذروا الآخرين من تعلمه والانخداع بجدلياته وقوانينه المتناقضة.

فكم من فتنة حدثت بسببه، فتن بغداد وغيرها. ويكفيك الفتنة العظيمة التي قتل بسببها كثير من العلماء وثبت أمامها الإمام أحمد. فالجهمية من مخلفاته. والمعتزلة على اختلاف فرقهم ونحلهم من مخلفاته. والتصوف الفلسفي والرفض من مخلفاته والأشاعرة والماتريدية من مخلفاته.

هذه مخلفاته في هذه الأمة. أما آثاره ومخلفاته في الأمم التي قبلنا فحدث ولا حرج. فقد كان الفكر الفلسفي من عوامل نسف ما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام. ويكفي أن يقال بأن فكرة التثليث وقصة الصلب وفكرة الفداء من اقتباس الفكر الفلسفي.

ولئن رمنا استعراض موقف أئمة المسلمين من هذا العلم ابتداء بالأئمة الفضلاء الأربعة لوجدناهم جميعهم يبّدعون ويطالبون بعقوبة من يشتغل به.

فالشافعي رحمه الله كان يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس»[1].

---

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي (١٥)، وفضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب (٩٩)،

وكان يقول: «حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد. ويُحملوا بالجريد. ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل. ويُنادىٰ عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام»[1].

وسئل أبو حنيفة: «ما تقول فيما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة. عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة وقد وصف أهل الكلام والمنطق بأنهم «قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولا تقوى»[2].

وقد كان أبو يوسف يفتي بزندقة طالب الدين بعلم المنطق، وكان لا يرضى تسميته بالعلم. حتى حكم بعلم من جهل به. وبجهل من علم به.

ونقل الحافظ ابن حجر كلام كثير من العلماء في ذم هذا المنطق كالسمعاني وغيره[3].

وصايا المتكلمين بترك الكلام:

ولعل أخذ العبرة من المجرب أدعى إلى زيادة التصديق. ومن بين أهل الخبرة بالمنطق وعلم الكلام عدد من **الفطاحل** الأذكياء اغتروا به كالغزالي والجويني والرازي وغيرهم رحمهم الله تعالى.

الإمام الجويني: لقد خاض الجويني في علم الكلام ما أحجم عنه كثيرون غيره. وصنف الكتب الكثيرة على طريقة أهل الكلام. غير أنه أعلن رجوعه عما كان عليه وأوصى عند موته باجتناب علم الكلام قائلاً: «يا

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/١١٦)، والسيوطي في صون المنطق (٦٥)، وابن عبدالبر في كتاب الانتقاء (٨٠)، إحياء علوم الدين (١/٩٥).
(٢) صون المنطق والكلام (٣٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٩٩).
(٣) فتح الباري (١٣/٣٥٠ - ٣٥٣).

أصحابنا لا تشتغلوا بعلم الكلام. فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به»[1].

الفخر الرازي: الذي لم يسلك طريقاً ولا فناً من فنوم علم الكلام إلا وطرقه رجع عنه وبين حقيقته فقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً... إلى أن قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[2].

أبو حامد الغزالي: الذي كانت له تجربته المريرة في علم الكلام حتى قال عنه في كتابه المنقذ من الضلال: «ولم يكن علم الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكو منه شافياً، ولم يكن في كتب المتكلمين إلا كلمات معقدة مبددة، ظاهرة التناقض والفساد»[3]. وأبدى الغزالي سخطه وانزعاجه من أهل الكلام الذين سموا أنفسهم «علماء التوحيد» معترفاً بما رأى منهم من الخصومات والمنازعات وإزهاق أرواح المسلمين وتكفيرهم[4] مبيناً أن نوع توحيدهم مخالف تماماً لتوحيد السلف ثم صنف كتاباً في التحذير من علم الكلام وكان ذلك قبل موته بخمس عشر يوماً واسمه «إلجام العوام عن علم الكلام» أفتى فيه بحرمة تعلم هذا العلم أو تعليمه، مؤكداً على أنه ما ثار الشر في الأمة المسلمة، إلا منذ أن ظهر أهل الكلام والجدل، وأن على الناس معرفة ربهم بطريقة القرآن لا بطرق المتكلمين مثل الأعراض والحوادث»[5].

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧٤)، طبقات السبكي (٣/٢٦٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٥٠١)، طبقات السبكي (٥/٣٧)، ذكر الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/٤٢٨): أن الرازي أوصى وصية عند موته تدل على أنه حسّن اعتقاده.

(٣) المنقذ من الضلال (١٥ - ١٧).

(٤) إحياء علوم الدين (١/٣٣ و٩٧).

(٥) إلجام العوام عن علم الكلام (٦٢ و٨٧ و٨٩ و٩٠).

إن اعتراف هؤلاء الجهابذة الأذكياء ببطلان علم الكلام يثبت مصداقية وبعد نظر أئمة أهل السنة الذين نهوا عن الاشتغال ورموا أربابه بالبدعة.

مصادر علم الكلام:

إن القول بأن مصادر علم الكلام متنوعة ومتباينة وأن أهم مصادرها: الفلسفة اليونانية ـ إن هذا القول يعتبر حقيقة لا يقررها أعداء هذا الفن وإنما يوافق عليها بل ويؤكدها المتكلمون أنفسهم.

فالتفتازاني يؤكد اختلاط علم الكلام بفلسفة اليونان فيذكر بأنه: «لما نقلت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإسلاميون، حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا به الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيراً من الفلسفة.. حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات»[١] يعني بعض النصوص من آيات وأحاديث.

وهذه الحقيقة أكدها ابن خلدون في مقدمته أيضاً[٢].

وأول من خلط الكلام بالفلسفة هم المعتزلة حيث اطلعوا على كتب الفلاسفة ورأوا مناسبة مزجها بالعقائد الإسلامية.

قال الشهرستاني: «طالع شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون، فخلطوا مناهج الكلام، وأفردوا لأنفسهم علماً يسمى بعلم الكلام»[٣].

ويحدثنا ابن النديم عن سبب آخر من أسباب إدخال المنطق وعلم الكلام في الدين الإسلامي وذلك بدخول أفواج من اليهود والنصارى والفرس والوثنيين في الدين لا عن قناعة ونزاهة، وإنما ليكيدوا للإسلام

---

(١) شرح العقائد النسفية (٨).

(٢) مقدمة ابن خلدون (٤٦٦ - ٤٦٧).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٢).

وأهله، وذلك نتيجة حقدهم على زوال مجدهم وسلطانهم، فكانوا بدخولهم فيه يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة[1].

لقد ساد التفرق في الأمة منذ أن ظهر هـذا الخلط بين تعاليم وحي السماء، وبين إيحاءات الفلاسفة لم يعد يلق لها العلم بالاً لما تتضمنه من ظنون وتخرصات ونظريات.

وانبرى المندسون يعملون في الظلام لهدم الإسلام تحت شعار نصرة الإسلام بالمنطق والكلام. كما هو الحال في التصوف حين تستّر البعض بـالمحبة والتـزهد وآخـرون بالتمسـك بأهـل البيت ومحبتهم ليقضوا على الإسلام والمسلمين.

وافتتن بذلك كثير من المسلمين وأشربه واستمرأه آخرون منهم حتى اعتقدوا العصمة به من الزلل كما صرحوا بذلك في كتبهم[2] عند تعريفهم لعلم المنطق. وغاب عنهم أن العصمة التي ضمنها لنا نبينا ﷺ إنما تكون في الكتاب والسنة دون غيرهما، ولم يضمنهـا بعلوم اليونـان ولا بكشف التصوف.

لقد باتت الأمة تتسم بالسلبية وعدم الإعطاء، وقلة الفاعلية والتأثيـر والإيجابية في الواقع، وأصبح المسلم يتصف بالانهزامية واللامبالاة.

ولا شك عندي أن من أهم أسباب ذلك تلك المناهج الفاسدة التي اختلطت بعلوم المسلمين واندست فيها وأثرت في صحة اعتقاد المسلم بـ:

١ ـ وحدانية الله.

٢ ـ حقيقة أسماء الله وصفاته والموقف الصحيح منها.

٣ ـ التهـاون في سرعـة التحاكم إلى الله والـرسول وشيـوع التقليد وموالاة من يحكمون بالقوانين والدساتير الوضعية.

---

(١) الفهرست لابن النديم (٤٧٣).

(٢) قال ذلك السـاوي والجرجاني وغيرها. انظر التعريفات للجرجاني (٣٠٨).

٤ ـ حقيقة القدر.

٥ ـ الموقف من البدع، حيث اخترق العديد الجدار المنيع الذي بناه رسول الله ﷺ حول هذا الدين حين قال: «وكل بدعة ضلالة» فنقضوا ذلك حين قالوا: «ليست كل بدعة ضلالة، وإنما قد تكون حسنة» ثم أدخل في الإسلام تحت هذا الباب المفتوح علوم اليونان وخرافات التزهد الفارسي والهندي والبوذي والأفلاطوني بذريعة أنها من البدع الحسنة.

ويجدر بي أن أذكّر في هذا الشأن بموقف عمر رضي الله عنه حين فتحت أرض فارس في عهده ودخلها المسلمون، حيث كتب إليه سعد بن أبي وقاص يخبره بأنهم وجدوا فيها علوماً وكتباً كثيرة، ويستأذنه بأن ينشرها وينقلها للمسلمين، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها، وإن تكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء ـ أو أحرقوها ـ وذهبت علوم الفرس منها عن أن تصل إلى المسلمين»[1].

لقد كان على المسلمين أن يحافظوا على الإسلام محافظة عمر عليه وأن يكتفوا بالنور الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة دون غيرهما. غير أنهم لم يفعلوا فدخل عليهم من شر العلوم والمناهج التي أمرضت من قبلنا وأفسدت عليهم دينهم، وكان لذلك آثاره السلبية التي لا نزال نراها إلى يومنا الحاضر.

ولقد جرت عدة محاولات لتغيير واقع الإنسان المسلم لكنها لم تحظى بالنجاح المذكور وذلك لأسباب عديدة:

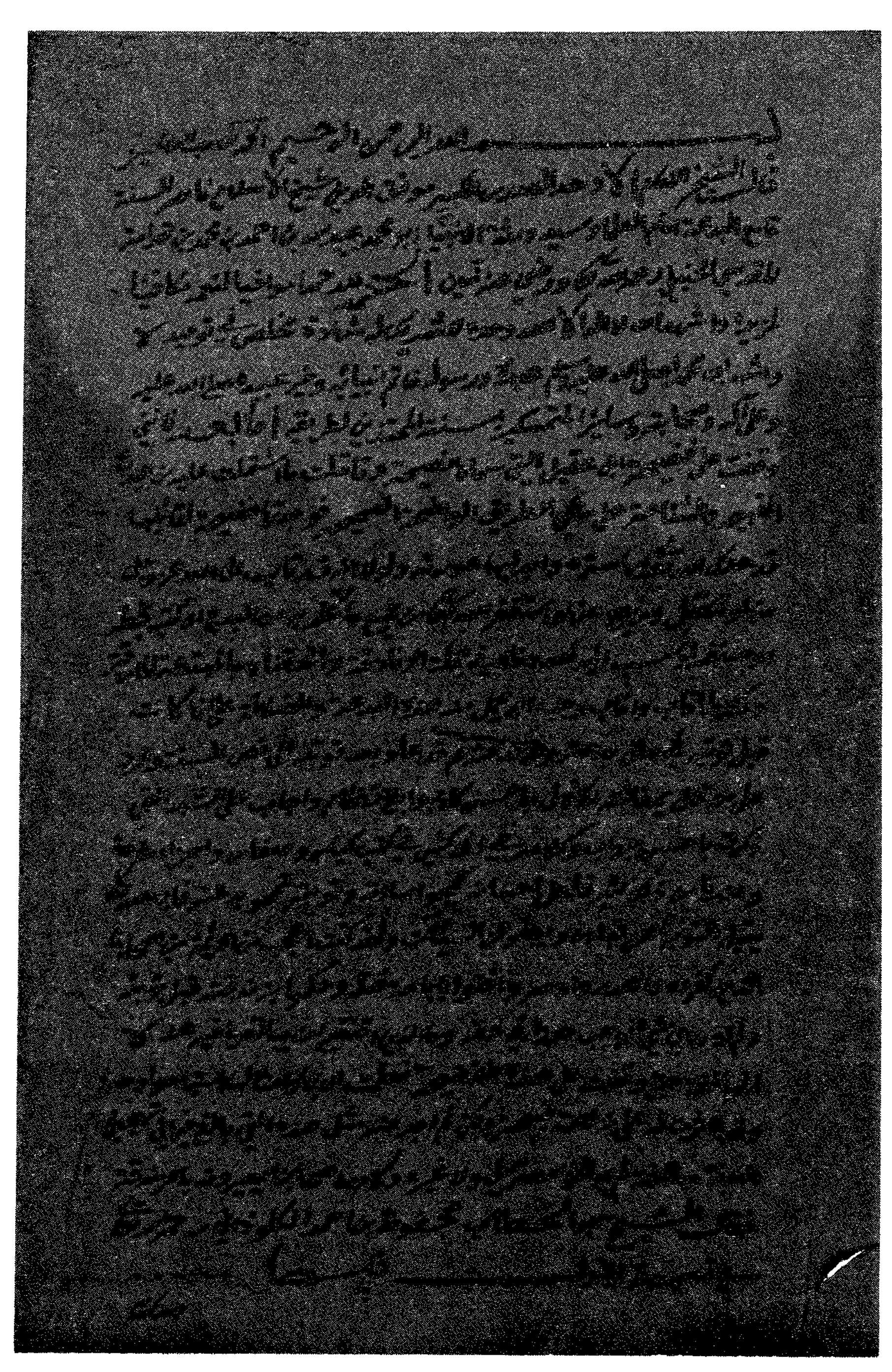
١ ـ إنها لم تنقّ المناهج الموروثة ولم تطهرها من شوائب العلوم الدخيلة، كفلسفة المنطق وعلم الكلام، والتصوف بأنواعه المختلفة ومصادره المتباينة.

---

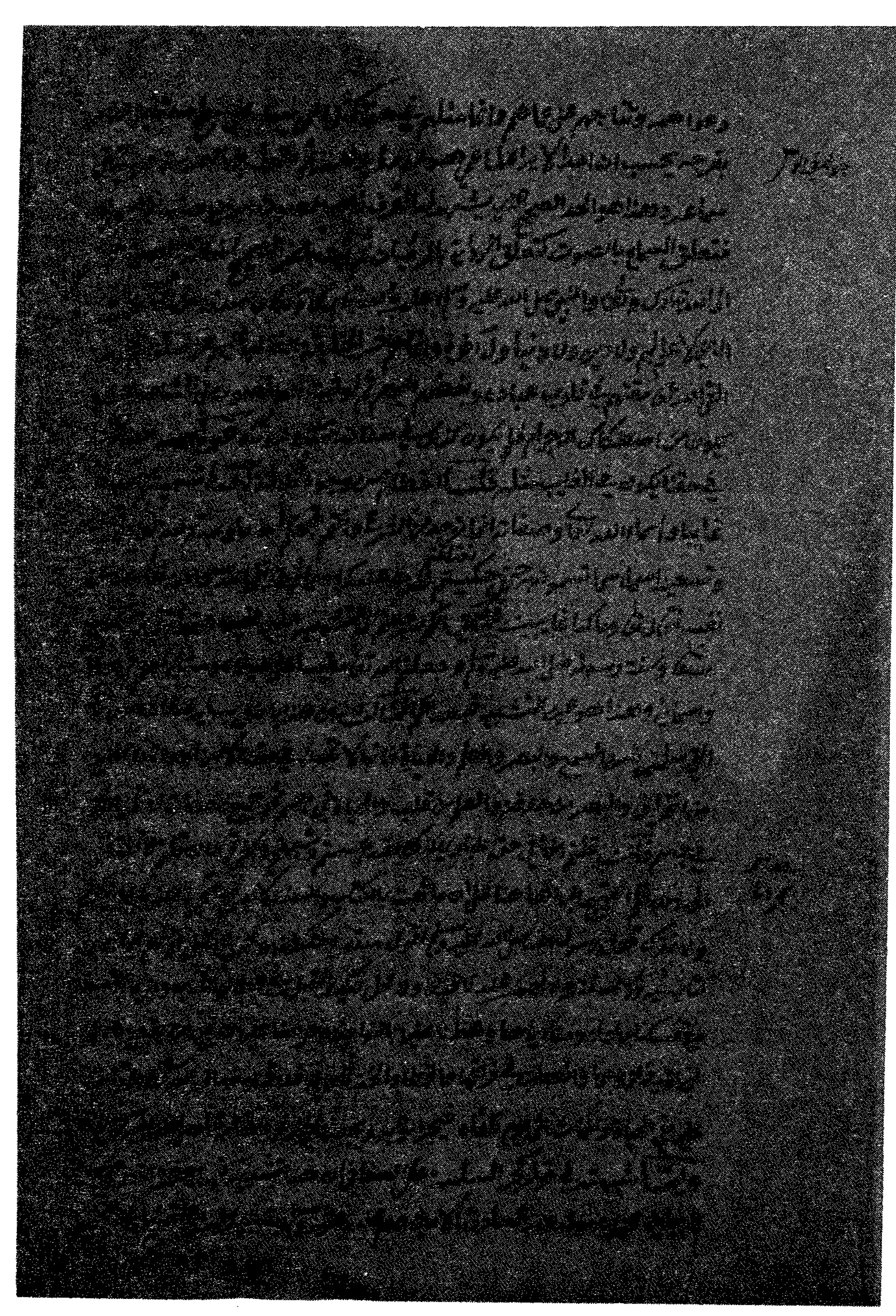
(١) انظر مقدمة ابن خلدون (٤٨٠) ط دار القلم ـ بيروت.

٢ ـ إنها لم تُعد تحصين الدين على ما كان عليه حين بناه رسولنا الكريم ﷺ، ولم تأخذ بجدية تامة تقييد الناس بالسنن وزجرهم عن البدع. وبالنظر إلى سيرة السلف نجد أنهم كانوا يشددون على هذا الأمر، وينتهرون أهل البدع والمحدثات مهما قل نوع بدعتهم.

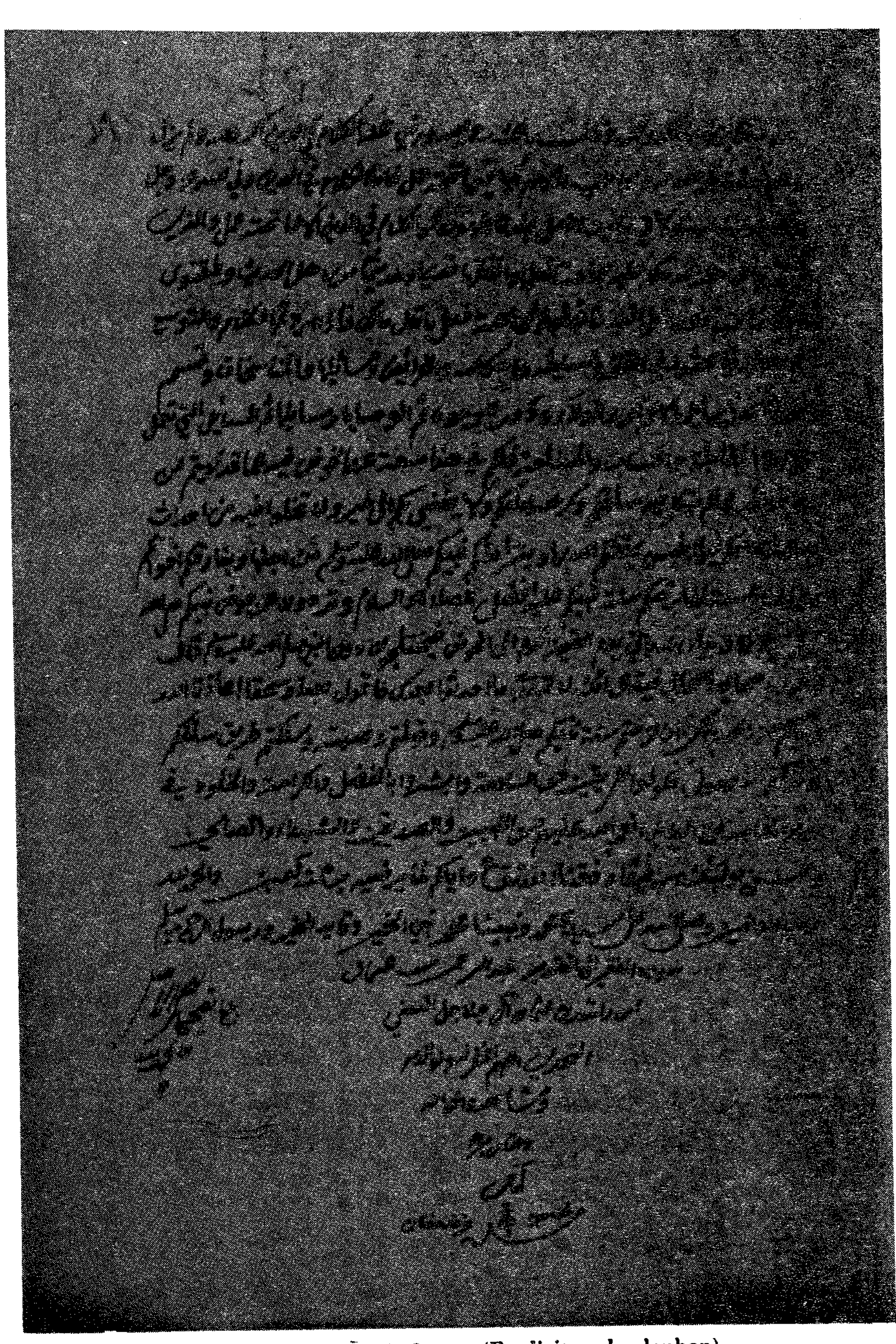
وفي الختام أؤكد على أنه ما لم نضع نصب أعيننا ضرورة إصلاح هذا الجانب، والعمل على قصر الناس على الكتاب والسنة ونفض أوبئة علم الكلام وغيره، وإطراحها بعيداً عن العلم الإلٰهي. فإن ذلك سيبقى حجر عثرة وسبباً في قعود هذه الأمة وتفرق أبنائها وتخاصمهم. فإن اتفاق كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، مرهون باتفاقهم على عقيدة واحدة وموقف واحد من البدع والدخائل. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه.



Folio 71b: *Ibn Qudāma's Censure* (Incipit)



Folio 80b: *Ibn Qudama's Censure*



Folio 83a: *Ibn Qudama's Censure* (Explicit and colophon)

تَحْرِيمُ ٱلنَّظَرِ فِي كُتُبِ أَهْلِ ٱلكَلَامِ
كِتَابٌ فِيهِ ٱلرَّدُّ عَلَى ٱبْنِ عَقِيلٍ

تأليـف

مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَامَةَ ٱلْمَقْدِسِيِّ

ٱلْمُتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ

عُنِيَ بِتَصْحِيحِهِ وَنَشْرِهِ وَٱلتَّعْلِيقِ عَلَيهِ

جُورجُ ٱلْمَقْدِسِيُّ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه، مكافئاً لمزيده، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادةَ مخلصٍ في توحيده، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله خاتم أنبيائه وخير عباده، صلّى الله عليه وعلى آله وصحابته وسائر المتمسّكين بسنّته المحتذين لطريقه.

أمّا بعد، فإنّني وقفت على فضيحة ابن عقيل[1] التي سمّاها نصيحة،

---

(١) هو أبو الوفا علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، ويعرف بابن عقيل عالم العراق في وقته وشيخ الحنابلة ببغداد، ولد سنة أربعمائة وواحد وثلاثين للهجرة قال الذهبي في السير ١٩/٤٤٥: «كان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له نظير على بدعته» وقال في معرفة القراء ١/٣٨٠: «وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم بن التبان، ومن ثم حصل فيه شائبة تجهم واعتزال وانحرافات».
وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٤/٢٤٣: «وهذا الرجل من كبار الأئمة، نعم كان معتزلياً، ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك وصحت توبته، ثم صنف في الرد عليهم، وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم، وأطراه ابن الجوزي، وعوّل على كلامه في أكثر تصانيفه».
وقال الحافظ ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ١/١٤٤: «إن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأولٍ لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله».
هذا وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الاضطراب والتردد الذي كان يمر به ابن عقيل بسبب عكوفه على علم الكلام وتردده على بعض الشيوخ المعتزلة فقال: =

= «ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان ذكياً من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية وينكر على من يسميها صفات. ويقول: إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة كما فعله في كتابه «ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، وتبعه على ذلك أبو الفرج بن الجوزي في «كف التشبيه بكف التنزيه» وفي كتابه «منهاج الوصول».

غير أنه بيّن ما له من فضل في الذب عن الشريعة وذم من خرج عنها من أهل التصوف وأرباب الكلام. وقد نقل كثير من الأئمة عبارة له وهي قوله: «أنا أقطع أن الصحابة ماتوا ولم يعرفوا الجوهر ولا العرض. فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن. وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت» (تلبيس إبليس ٨٥).

وقد اعترف بما يتضمنه علم الكلام من اضطراب في الذهن وشكوك فقال: «وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وكثير منهم إلى الإلحاد: تشم روائح الإلحاد من فلتات المتكلمين».

اتهامه بموافقة الحلاج:

ولقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/١٠٥ ـ ١٠٦ أن من جملة ما أعلن ابن عقيل توبته منه ما كان يعتقده من كون الحلاج من أهل الحق والخير، وكان كتب في مدحه جزءاً. قال ابن عقيل في توبته: «واعتقدت في الحلاج أنه من أهل الدين والزهد والكرامات، ونصرت ذلك في جزء عملته، وأنا تائب إلى الله تعالى منه، وأنه قتل بإجماع علماء عصره، وأصابوا في ذلك وأخطأ هو» (الذيل على طبقات الحنابلة ١/١٤٥).

توبته من مذهب الاعتزال:

وقد ذكر ابن رجب في ذيله على الطبقات نص ما جاء في توبة ابن عقيل رحمه الله نذكر منها:

«يقول علي بن عقيل بن محمد: إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم، والتكثر بأخلاقهم، وما كنت علّقته ووُجد بخطي من مذاهبهم وضلالتهم، فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته، ولا تحل كتابته، ولا قراءته ولا اعتقاده.

وقد كان الشريف أبو جعفر، ومن كان معه من الشيوخ والأتباع ـ سادتي وإخواني حرسهم الله تعالى مصيبين في الإنكار عليّ لما شاهدوه بخطي من الكتب التي أبرأ إلى الله تعالى منها، وأتحقق أني كنت مخطئاً غير مصيب. =

وتأمّلت ما اشتملت عليه من البدع القبيحة والشناعة على سالكي الطريق الواضحة الصحيحة، فوجدتها فضيحة لقائلها قد هتك الله تعالى بها ستره، وأبدى بها عورته، ولولا أنّه قد تاب إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ منها وتنصّل ورجع عنها واستغفر الله تعالى من جميع ما تكلّم به من البدع أو كتبه بخطّه أو صنّفه أو نُسب إليه لعددناه في جملة الزنادقة وألحقناه بالمبتدعة المارقة. ولكنّه لمّا تاب وأناب وجب أن تُحمَل منه هذه البدعة والضلالة على أنّها

= ومتى حفظ عليّ ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار: فلإمام المسلمين مكافأتي على ذلك. وأشهدت الله وملائكته وأولي العلم: على ذلك غير مجبر ولا مكره. وباطني وظاهري ـ يعلم الله تعالى ـ في ذلك سواء. قال تعالى: ﴿ومن عاد فينتقم الله منه، والله عزيز ذو انتقام﴾ المائدة: ٩٩.

وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة.

قال ابن عقيل: قدم علينا أبو المعالي الجويني بغداد، أول ما دخل الغزالي، فتكلم مع أبي إسحٰق وأبي نصر الصباغ، وسمعتُ كلامه، ثم ذكر عنه مسألة العلم بالأعراض المشهورة عنه، فبالغ في الرد عليه.

قال ابن الجوزي: «وكان ابن عقيل قوي الدين، حافظاً لحدود الله، وتوفي له ولدان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه. وكان كريماً ينفق ما يجد، ولم يخلف سوى كتبه وثياب بدنه، وكانت بمقدار كفنه وقضاء دينه.

قال ابن رجب: «وكان ابن عقيل رحمه الله من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم، وكان خبيراً بالكلام، مطلعاً على مذاهب المتكلمين، وله بعد ذلك في ذم الكلام وأهله شيء كثير» (الذيل على طبقات الحنابلة ١٤٢ ـ ١٦٣).

وتوفي ابن عقيل رحمه الله بكرة الجمعة، ثاني عشر جمادي الأولى سنة ثلاثة عشرة وخمسمائة، وصلي عليه في جامعي القصر والمنصور، وكان الجمع يفوت الحصر. قال ابن ناصر: حزرتهم بثلاثمائة ألف. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩، الكامل في التاريخ ٥٦١/١٠، المنتظم ٢١٢/٩، مناقب الإمام أحمد ٥٢٦ ذيل طبقات الحنابلة ١٤٢ ـ ١٦٣، شذرات الذهب ٣٥/٤ ـ ٤٠، ميزان الاعتدال ١٤٦/٣، لسان الميزان ٢٤٣/٤، البداية والنهاية ١٠٥/١٢ و٩٨ و١٢٥ و١٣٨ و١٤٣ و١٤٧ و١٥٤و ١٥٦ و١٧٤و ١٨٤ ومرآة الجنان ٢٠٤/٣، ومرآة الزمان ٥١/٨ وكشف الظنون ٧١، ١٤٤٧، وإيضاح المكنون ٨٥/١، هدية العارفين ٦٩٥/١.

كانت قبل توبته في حال بدعته وزندقته. ثمّ قد عاد بعد توبته إلى نصّ السنّة والردّ على من قال بمقالته الأولى بأحسن كلام وأبلغ نظام وأجاب على الشُّبَه التي ذُكرت بأحسن جواب، وكلامه في ذلك كثير في كتب كبار وصغار وأجزاء مفردة، وعندنا من ذلك كثير. فلعلّ إحسانه يمحو إساءته وتوبته تمحو بدعته، فإنّ الله تعالى يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيّئات.

ولقد كنت أعجب من الأئمّة من أصحابنا الذين كفّروه وأهدروا دمه وأفتوا بإباحة قتله وحكموا بزندقته قبل توبته، ولم أدرِ أيّ شيء أوجب هذا في حقّه وما الذي اقتضى أن يبالغوا فيه هذه المبالغة حتّى وقفت على هذه الفضيحة. فعلمت أنّ بها وبأمثالها استباحوا دمه. وقد عثرت له على زلّات قبيحة، ولكن لم أجد عنه مثل هذه التي بالغ فيها في تهجين السنّة مبالغة لم يبالغها معتزليّ ولا غيره.

وكان أصحابنا يعيّرونه بالزندقة. فقال الشيخ أبو الخطّاب محفوظ بن أحمد الكَلْوَاذانيّ[1] رحمه الله تعالى في قصيدته يقول فيها:

وَمُذْ كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ لَمْ أَزَلْ ... أُنَاضِلُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَأُحَامِي
وَمَا صَدَّنِي عَنْ نُصْرَةِ ٱلْحَقِّ مَطْمَعٌ ... وَلَا كُنْتُ زِنْدِيقاً حَلِيفَ خِصَامِ

يعرّض بابن عقيل حيث نسب إلى ذلك.

(١) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن بن حسن العراقي الكلواذاني ثم البغدادي الأزجي تليمذ القاضي أبي يعلى بن الفراء درس عليه الفقه وقرأ الفرائض على الونيّ وصار إمام وقته، وشيخ عصره، وصنف في المذهب والأصول والخلاف والشعر الجيد. ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.
انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣٤٨/١٩، الكامل لابن الأثير ٤٨٤/١٠، البداية والنهاية ١٧٢/١٢، وفيات الأعيان ٢٨٦/٣، مرآة الزمان ٢٣/٨، طبقات السبكي ٢٣١/٧، النجوم الزاهرة ٢٠١/٥، شذرات الذهب ٨/٤.

وبلغني أنّ سبب توبته أنّه لمّا ظهرت منه هذه الفضيحة أهدر الشريف أبو جعفر رحمه الله تعالى دمه، وأفتى هو وأصحابه بإباحة قتله. وكان ابن عقيل يخفى مخافةَ القتل فبينما هو يوماً راكب في سفينة فإذا في السفينة شابٌ يقول: تمنّيت لو لقيت هذا الزنديق ابن عقيل حتّى أتقرّب إلى الله تعالى بقتله وإراقة دمه. ففزع وخرج من السفينة وجاء إلى الشريف أبي جعفر فتاب واستغفر.

وها أنا أذكر توبته وصفتها بالإسناد ليُعلَم أنّ ما وُجد من تصانيفه مخالفاً للسنّة فهو ممّا تاب منه، فلا يغترّ به مغترّ، ولا يأخذ به أحد فيضلّ، ويكون الآخذ به كحاله قبل توبته في زندقته، وحلّ دمُه.

أخبرنا الشيخ الإمام الثقة المسند أبو حفص عمر بن محمّد بن طبرزد البغداديّ بقراءتي عليه في ذي القعدة سنة ثلاث وستّمائة بمسجدنا المحروس بظاهر دمشق حرسها الله تعالى قلت له: أخبركم القاضي الأجلّ العالم أبو بكر محمّد بن عبدالباقي بن محمّد البزّار[1] إجازةً إن لم يكن سماعاً قال: حضرتُ يوم الاثنين الثامن من المحرّم سنة خمس وستّين وأربعمائة توبةَ الشيخ الإمام أبي الوفاء بن عقيل في مسجد الشريف أبي جعفر رحمه الله تعالى في نهر مُعَلَّى، وحضر في ذلك اليوم خلق كثير. قال:

يقول عليّ بن عقيل: إنّني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب المبتدعة: الاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه وتعظيم أصحابه والترحّم على أسلافهم والتكثّر بأخلاقهم، وما كنت علّقته ووُجد بخطّي من مذاهبهم وضلالاتهم فأنا تائب إلى الله سبحانه تعالى من كتابته وقراءته وإنّه لا يحلّ لي كتابته ولا قراءته ولا اعتقاده.

وذكر شيئاً آخر ثمّ قال: فإنّي أستغفر الله وأتوب إليه من مخالطة المبتدعة: المعتزلة وغيرهم، ومكاثرتهم والترحّم عليهم والتعظيم لهم، فإنّ

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٣.

ذلك كلّه حرام لا يحلّ لمسلم فعله لقول النّبي ﷺ: «من عظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»[1]. وقد كان سيّدنا الشريف أبـو جعفر أدام الله علوّه وحرس على كافّتنا ظلّه ومن معه من الشيوخ والأتباع سادتي وإخواني أحسن الله عن الدين والمروّة جزاءهم، مصيبين في الإنكار عليّ لما شاهدوه بخطّي في الكتب التي أبرأ/ إلى الله تعالى منها، واتحقّق أنّني كنت مخطئاً غيرمصيب. ومتى حُفظ عليَّ ما ينافي هذا الخطّ وهذا الإقرار فلإمـام المسلمين أعزّ الله سلطانه مكافاتي على ذلك بما يوجبه الشرع من ردع ونكال وإبعاد وغير ذلك وأشهدت الله تعالى وملائكته وأولي العلم على جميع ذلك غير مجبر ولا مكره، وباطني وظاهري في ذلك سواء. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ﴾.

ثمّ كتب الشهود خطوطهم، وهذه نسختها:

أشهـدني المقرّ على إقـراره بجميع مـا تضمّنه هـذا الكتاب وكتب عبدالله بن رضوان في المحرّم سنة خمس وستّين، وأربعمائة.

بمثل ذلك أشهدني وكتب محمّد بن عبدالرزّاق بن أحمـد بن السنّيّ في التاريخ.

أشهـدني المقرّ على إقـراره بجميع مـا تضمّنه هـذا الكتاب وكتب الحسن بن عبدالملك بن محمّد بن يوسف بخطّه.

سمعت إقرار المقرّ بذلك وكتب محمّد بن أحمد بن الحسن.

أشهـدني المقـرّ على نفسـه بـذلـك وكتب عليّ بن عبـدالملك بن محمّد بن يوسف، آخرها.

وكتب محمّد بن عبدالباقي بن محمّد بن عبدالله: وحضر في هذا اليوم في مسجد الشريف خلق كثير.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٦٤) مرسلاً.

فهذه الفضيحة من جملة ما تاب منه إلى الله تعالى وأقرّ بأنّه ضلال وبدعة، وأنّه متى وُجد بخطّه وجبت مقابلته عليه، وينتقم الله منه. فكيف يحتجّ بقول هذا محتجّ أو يغترّ به مغترّ أو يقول به قائل أو يتعلّق به متعلّق مع شهادة قائله عليه بالضلال وإجماع العلماء من أهل بلدته على استتابته منه وإهدار دمه به وبأمثاله؟ وهذا أدلّ شيء على خطئه وضلاله، وإن كانت هذه المقالة صدرت منه بعد توبته فهذا دليل على زندقته وإصراره على بدعته ورجوعه إلى ضلالته. فإنّ معنى الزندقة إظهار الحقّ واعتقاد خلافه، وهو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ويُسمَّى اليوم الزندقة.

وهذا الرجل قد صنّف في نفي تأويل الصفات والردّ على متأوّلها جزءاً مفرداً، وصنّف في الحرف والصوت جزءاً مفرداً، وصنّف كتاب الانتصار، للسنّة وغيرها من الكتب، وملأها من السنّة والردّ على المبتدعة. فإن كان يظهر ذلك ويبطن هذا ويعتقده فهو زنديق فكيف يجوز أن يحتجّ محتجّ بمقالته أو يرضى لنفسه بمثل حاله أو يضلّ بضلالته؟ ونعوذ بالله تعالى ولا يُظنّ به هذا! ولكن لمّا عُلمت منه حالتان حالة بدعة وحالة توبة نسبنا كلّ ما وُجد من كلامه من البدع إلى حالة البدعة/ لا غير.

وما عادتي ذكر معائب أصحابنا، وإنّني لأحبّ ستر عوراتهم، ولكن وجب بيان حال هذا الرجل حين اغترّ بمقالته قوم واقتدى ببدعته طائفة من أصحابنا وشككّهم في اعتقادهم حسن ظنّهم فيه واعتقادهم أنّه من جملة دعاة السنّة[1]. فوجب حينئذٍ كشف حاله وإزالة حسن ظنّهم فيه ليزول عنهم اغترارهم بقوله وينحسم الداء بحسم سببه. فإنّ الشيء يزول من حيث ثبت وبالله التوفيق والمعونة، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإسلام والسنّة.

وعلى كلّ حال فهو قد نفّر من التقليد وأنكر حسن الظنّ بالمشايخ. فكيف يحسن الظنّ فيمن ينكر حسن الظنّ به؟ وكيف يُقبَل قول من ينهى

---

(١) لا سيما إن احتج بكونه من أئمة الحنابلة.

عن قبول قول غيره وينبغي لنا أن نقبل قوله في نفسه؟ فيساء الظنّ به، ولا نقبل قوله في غيره، كمن أقرّ بشيء عليه وعلى غيره قُبل قوله عليه ولم يُقبَل على غيره.

وها أنا أجيب عن مقالته إن شاء الله تعالى فصلاً فصلاً وأبيّن عوار كلامه فرعاً وأصلاً بتوفيق الله ومعونته.

أمّا قوله: إنّا كنّا أعزّاء بين أهل المذاهب فها نحن اليوم سبعون منفيّون محصورون إلى آخر كلامه. فهذا إيماء منه إلى أنّ أسلافنا رحمهم الله تعالى كانوا على قول ونحن على غيره، وأنّنا أحدثنا مقالة غير مقالتهم استحققنا بها العقوبة. وهذا كذب وفرية وقول من لا حياء له ولا دين فليخبرنا أيّ شيء أحدثناه وأيّ مقالة خالفنا فيها أسلافنا فإن قال: تركتم تأويل الآيات والأخبار الواردة في الصفات وادّعى أنّ السلف تأوّلوها وفسّروها فقد أفك وافترى وجاء بالطامة الكبرى. فإنّه لا خلاف في أنّ مذهب السلف الإقرار والتسليم وترك التعرّض للتأويل والتمثيل. ثمّ إنّ الأصل عدم تأويلهم، فمن ادّعى أنّهم تأوّلوها فليأتِ ببرهان على قوله. وهذا لا سبيل إلى معرفته إلّا بالنقل والرواية. فلينقل لنا ذلك عن رسول الله ﷺ أو عن صحابته أو عن أحد من التابعين أو الأئمّة المرضيّين. ثمّ المدّعي لذلك من أهل الكلام، وهم أجهل الناس بالآثار وأقلّهم علماً بالأخبار وأتركهم للنقل(١). فمن أين لهم علم بهذه؟ ومَن نقل منهم شيئاً لم يُقبَل نقله ولا يُلتفت إليه. وإنّما لهم الوضع والكذب وزور الكلام.

ولا خلاف بين أهل النقل سنّيّهم وبدعيّهم في أنّ مذهب السلف رضي الله عنهم في صفات الله سبحانه وتعالى الإقرار بها والإمرار لها

---

(١) وحالهم يشهد لهم بذلك فالغزالي معترف بأنه مزجي البضاعة في الحديث كذا الجويني وابن فورك وغيرهم كلهم معترفون بقلة علمهم بالسنة لانشغالهم عنها بعلم الكلام المبتدع (انظر لسان الميزان ٤/٤٢٨).

والتسليم لقائلها وترك التعرّض لتفسيرها[1] بذلك جاءت الأخبار عنهم مجملة

---

(١) لقول كثير من السلف وأئمة السنة والحديث أن تفسيرها ظاهرها، ليس فيها ما يدعيه أهل البدع من كونها مصروفة إلى تفسير آخر محتمل ولا دليل عليه. هذا ويجب التفريق بين تحريم تفسير حقيقة الصفة وبين وجوب معرفة تفسير معنى الصفة فإن حقيقة صفات لا يعلمها إلا الله. لأنها مستلزمة للعلم بذات الله عز وجل، والبشر لم يحيطوا بالله إلا بما شاء، فطلب معرفة حقيقة الصفة بمنزلة تحري معرفة الذات. أما معنى الصفة فقد توافر عن السلف الصالح ونورد الأدلة على ذلك بإيجاز:

١ ــ إن الله أمر بتدبر القرآن وفهمه فقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾، وقال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾. وإذا كانت الآية الأولى تخص الكفار على فهم القرآن وتدبره عُلم أن فهمه وتدبره بالنسبة للمؤمنين من باب أولى. وأنهم مأمورون من باب أولى. فالقرآن نزل ليُفهم كله ويُتدبر كله.

٢ ــ إن القرآن نزل بلغة العرب ليعقلوه لا ليكون مستعجماً عليهم مبهماً لا يفهموا معاني كلماته قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ وأسماء الله وصفاته مفهومة معانيها ولها دلالات يفهمها العرب في لغتهم.

٣ ــ أن السلف الصالح فسروا آيات الصفات، فقد صح عن ابن عباس تفسير صفة «الصمد» بأنه الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب كما صح عن مجاهد وأبي العالية تفسير معنى الاستواء كما في كتاب التوحيد من صحيح البخاري.
ومجاهد أخذ تفسير القرآن كله عن ابن عباس. فقد قال: «عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند آية آية».
وقال سفيان: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به». فلم يستثن آيات الصفات من بين ما أخذه عن ابن عباس من التفسير. بل ولا ثبت عن ابن عباس وإنما الثابت عكس وهو:
أ ــ ثبوت تفسير آيات الصفات عنه.
٣ ــ أنه قال: «كل القرآن أعلم إلا أربع: حنان، غسلين، والأوّاه، والرقيم». وقد روي عنه بعد ذلك تفسير هذه الأربع ولعل ذلك كان منه بعد هذا القول.

٤ ــ أن مالك بن أنس رضي الله عنه أجاب السائل عن كيفية الاستواء بأن الاستواء معلوم والكيف مجهول ولو كان المعنى مجهولاً لحق له أن يقول: الاستواء مجهول. وإنما نفى العلم بالكيفية واثبت العلم بالمعنى.

٥ ــ أن السلف من أئمة الحديث والسنة كانوا ما أرادوا بالزجر عن تفسير نصوص الصفات نفي معناها وإنما أرادوا الزجر عن القول فيها بغير علم وصرفها إلى معاني =

ومفصّلة. فرُوي عن مالك بن أنس والأوزاعيّ/ وسفيان الثوريّ وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أمّروها كما جاءت[1]. وقال أبو عمر بن عبدالبرّ في كتاب العلم: ما جاء عن النبيّ ﷺ من نقل الثقات وصحّ عن الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يُدان به. وما أُحدث بعدهم ولم يكن له أصل في ما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة. وما جاء في أسماء الله وصفاته عنهم نسلّم له ولم نناظر كما لم يناظروا. ورواها السلف وسكتوا عنها، وكانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلّهم تكلّفاً، ولم يكن سكوتهم عن عيّ. فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر[2].

وروى محمّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنّه أجمع أهل العلم في المشرق والمغرب على أنّ هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات لا تُفسَّر أو كما قال.

وقال حنبليّ: سألت أبا عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل رضي الله عن هذه الأحاديث التي تروي أنّ الله تبارك وتعالى يُرى، وأنّه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنّه يضع قدمه، وما أشبه ذلك. فقال أبو عبدالله رضي الله

= أخرى لا يدل عليها اللفظ بما يؤدي إلى تحريف النص وصرفه عن مراد الله له.
ولذلك صنف الإمام أحمد كتاباً ذم فيه أهل التحريف الذين يتأولون القرآن على غير تأويله. ومعنى ذلك أن لآيات الصفات تأويلًا حقاً يختلف عن التأويلات الباطلة ولعل قائلاً يقول: هذا التأويل الحق لا يعلمه إلا الله.
وأقول: لقد رد أحمد رحمه الله على أهل التحريف والتأويل أوضح المعنى الحقيقي الذي عليه أهل السنة. ولو كان المطلوب الاكتفاء بنفي التأويلات لما تكلم في إثبات المعنى الصحيح لآيات الصفات. وكذلك غيره من الأئمة فإنهم أوضحوا المعنى الصحيح لآيات الاستواء والمجيء والإتيان واليدين والتكلم ونصوص المعية، وردوا به على ما توهمته المبتدعة من المعاني الباطلة.
٦ ـ أخيراً أن التفويض ليس مذهب السلف (أعني تفويض معاني نصوص الصفات) ولو كان ذلك لعددنا ابن عباس ومجاهد وأبا العالية وأحمد ومالك وغيرهم من المخالفين للسلف لثبوت تفسير نصوص صفات الله عنهم.

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٦.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٧، وذكره السيوطي في صون المنطق والكلام ١٣٧.

عنه: نؤمن بها ونصدّق بها ولا نردّ منها شيئاً إذا كانت بأسانيد صحاح. ولا نردّ على الرسول ﷺ قوله. ونعلم أنّ ما جاء به الرسول ﷺ حقّ ولا يُوصَف الله تعالى بأكثر ممّا وصف به نفسه بلا حدّ ولا غاية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1]. فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، لا نتعدّى ذلك، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت. نؤمن بهذه الأحاديث ونقرّها ونمرّها كما جاءت بلا كيف ولا معنى إلاّ على ما وصف به نفسه تبارك وتعالى وهو، كما وصف نفسه، سميع بصير بلا حدّ ولا تقدير. صفاته منه وله. لا نتعدّى القرآن والحديث والخبر، ولا نعلم كيف ذاك إلاّ بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن.

وقال أبو عبدالله: حدّثنا وكيع يوماً بحديث من هذه الأحاديث، فاقشعرّ زكريّاء بن عدي. فقال وكيع وغضب: أدركنا الأعمش وسفيان يحدّثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. وهذا ممّا لا نعلم فيه بين سلفنا رحمهم الله اختلافاً، والمنكر له إمّا جاهل أو متجاهل قليل الدين والحياء لا يخاف من الله تعالى إذا كذب ولا يستحيي من الناس إذا كذب.

ونحن على طريقة سلفنا وجادّة أئمّتنا وسنّة نبيّنا ﷺ، ما أحدثنا قولاً ولا زدنا زيادة، بل آمنّا بما جاء، وأمررناه كما جاء، وقلنا بما قالوا، وسكتنا عمّا سكتوا عنه، وسلكنا حيث سلكوا، فلا وجه لنسبة الخلاف والبدعة إلينا.

وإنّما تكلّم ابن عقيل على حال/ نفسه في حال بدعته. حين أحدث في دين الله عزّ وجلّ وخالف سلفه وأئمّته وسادة أهل مذهبه، واتّبع أهل الكلام والبدع، وفارق السنّة، وأخذ في البدعة، أُهدر دمه وأُخيف سربه وقُصد بالأذى والتشريد والإخافة والتطريد وصار ذليلاً حقيراً، فنسب حاله إلى مَن سواه، وجعل الحدث منه حادثاً ممّن عداه وكسّى وصفه لغيره، وعيّر أهل السنّة بمثل ذنبه. كما قيل: رمتني بدائها وانسلّت.

---

(١) سورة الشورى: آية ١١.

أمّا أهل السنّة المتّبعون[1] للآثار السالكون[2] طريق السلف الأخيار فما عليهم غضاضة ولا يلحقهم عار، منهم العلماء العاملون، ومنهم الأولياء والصالحون، ومنهم الأتقياء الأبرار، والأصفياء والأخيار، أهل الولايات والكرامات، وأهل العبادات والاجتهادات، بِذِكْرهم تُزيَّن الكتب والدفاتر، وأخبارهم تحسّن المحافل والمحاضر، تحيا القلوب بذكر أخبارهم، وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم، بهم قام الدين وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وهم مفزع الخلق عند اشتداد الأمور عليهم، فالملوك فمَن دونهم يقصدون زياراتهم ويتبرّكون بدعائهم ويستشفعون إلى الله سبحانه وتعالى بهم[3].

فنحن أصحاب المقامات الفاخرة، ولنا شرف الدنيا والآخرة، ومن نظر في كتب العلماء التي أُفردت لذكر الأولياء لم يجد فيها، إلاّ منّا، ومتى نُقلت الكرامات لم تُنقَل إلاّ عنّا، ومتى أراد واعظ أو غيره يطيّب مجلسه ويزيّنه زيّنه بأخبار بعض زهّادنا أو كرامات عبّادنا أو وصفِ علمائنا، وعند ذكر صالحينا تنزل الرحمة وتطيب القلوب ويُستجاب الدعاء ويُكشَف البلاء، ولله درُّ القائل:

[الرمل]

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَصْحَابِ ٱلْبِدَعْ ... وَوَهَى حَبْلُهُمُ ثُمَّ ٱنْقَطَعْ
وَتَدَاعَى بِٱنْصِدَاعٍ شَمْلِهِمْ ... حِزْبُ إِبْلِيسَ ٱلَّذِي كَانَ جَمَعْ
هَلْ لَكُمْ بِٱللَّهِ فِي بِدْعَتِكُمْ ... مِنْ فَقِيهٍ أَوْ إِمَامٍ يُتَّبَعْ

---

(١) في الأصل: المتبعين.
(٢) في الأصل: السالكين.
(٣) أي بدعائهم لهم. كما في قوله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». ولما ظن أحد الصحابة أن للضعفاء فضلاً على من دونهم قال ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» (أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ٢٢٥/٣ باب من استعان بالضعف. والنسائي ٤٥/٦. فطلب النصر والرزق ليس بشخص ضعفاء القوم وإنما بدعائهم وهو يفيد أن لضعفهم عند الله قوة.

مِثْلِ سُفْيَانَ أَخِي ٱلثَّوْرِي ٱلَّذِي	عَلَّمَ ٱلنَّاسَ خَفِيَّاتِ ٱلْوَرَعْ
أَوْ سُلَيْمَانَ أَخِي ٱلتَّيْمِ ٱلَّذِي	هَجَرَ ٱلنَّوْمَ لِهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعْ
أَوْ إِمَامِ ٱلْحَرَمَيْنِ مَالِكاً	ذٰلِكَ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي لَا يُنْتَزَعْ
أَوْ فَقِيهِ ٱلشَّامِ أَوْزاعِيِّهَا	ذَاكَ لَوْ قَارَعَهُ ٱلْقُرَّا قَرَعْ
أَوْ فَتَى ٱلْإِسْلَامِ أَعْنِي أَحْمَداً	ذَاكَ حِصْنُ ٱلدِّينِ إِنْ حِصْنٌ مَنَعْ
لَمْ يَخَفْ سَوْطُهُم إِذْ خَوَّفُوا	لَا وَلَا سَيْفُهُمُ حِينَ لَمَعْ

/أمّا هو حزبه من أهل الكلام، فما ذكرُهم إلّا ذمُّهم والتحذير منهم، والتنفير من مجالستهم، والأمر بمباينتهم وهجرانهم، وترك النظر في كتبهم، لا يثبت لأحد منهم قدم في الولاية، ولا يقوم لهم في الصالحين راية، ولا يكون لأحد منهم كرامة، ولا يرون ربّهم في الآخرة ولا كرامه، يكذّبون بكرامات الصالحين، وينكرون نعمة الله على عباده المؤمنين، فهم في الدنيا ممقوتون وفي الآخرة معذّبون، لا يفلح منهم أحد، ولا يوفَّق لاتّباع رشد.

قال الإمام أحمد: لا يفلح صاحب كلام أبداً[1]، ولا يُرى أحد نظر في الكلام إلّا في قلبه دغل. وقال الإمام الشافعيّ: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح. وقال: حكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد ويُطافَ بهم في العشائر والقبائل ويُقالَ هذا جزاء من ترك الكتاب والسنّة وأخذ في الكلام[2]. وقال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق[3]. وقال أبو عمر بن عبد البرّ: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع أهل الأمصار أنّ أهل

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ٨٣، صون المنطق والكلام للسيوطي ١٢٨، جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٥.

(٢) صون المنطق والكلام ٦٤، آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ١٨٦، تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ٣٣٥، تلبيس إبليس لابن الجوزي ٨٢، الحلية لأبي نعيم ٩/١١٦ والانتقاء لابن عبدالبر ٨٠.

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٤٣، صون المنطق للسيوطي ٦٠، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ٣٣٣، شرف أصحاب الحديث للبغدادي ٤.

الكلام أهل بدع وزيغ لا يُعَدّون عند الجميع في طبقات العلماء، وإنّما العلماء أهل الأثر والمتفقّه فيه[1]. وقال أحمد بن إسحاق المالكيّ: أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هم أهل الكلام، فكلّ متكلّم من أهل الأهواء والبدع، أشعريّاً كان أو غير أشعريّ، لا تُقبَل له شهادة ويُهجَر ويُؤدَّب على بدعته، فإن تمادى عليها استُتيب منها[2].

وذمُّ أهل الكلام كثير، وابن عقيل من أهل الكلام، وهو في هذه الحالة ينصر مذهبهم، فلذلك تكلّمنا عليه وذكرنا عيوبه لدخوله في جملتهم ودعايته إلى طريقهم.

فصل:

وأمّا قوله: فإنّ الأحمق من اغترّ بأسلافه وسكن إلى مقالة أشياخه آنساً بتقليدهم من غير بحث عن مقالتهم، فهذا كلام مسموم رديء يشير به إلى ذمّ اتّباع طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم، ويعيب ما مدحه أئمّتنا رحمة الله عليهم وما أوصونا به من لزوم طريقهم والاهتداء بهديهم، ويدعو إلى مقالة أهل الكلام والنظر في المعقولات، وهو علم الكلام الذي ذكرنا عن الأئمّة رحمة الله عليهم ذمّه وإفضاءه بصاحبه إلى الزندقة والبدعة وعدم الفلاح. وقد ظهر برهان قولهم في ابن عقيل، فإنّه حين اشتغل به وآثره على علم الأثر صار زنديقاً داعية إلى ترك اتّباع السلف المُتّفَق على صوابهم المُجَمع على هدايتهم الذين أخبر الله تعالى برضاه عنهم واختياره/ لهم ومَدَحهم وأثنى عليهم، وحسبك بمن مدحه الله تعالى وأثنى عليه وخبر مَن [وصّى] بهم النبيّ ﷺ وحثّ الناس على اتّباعهم والاقتداء بهم.

ثم لم يزل أئمّتنا وعلماؤنا يحثّوننا على التمسّك بهديهم والسير بسيرتهم، فجاء هذا المسكين يحذّرنا منهم ويريد منّا أن نسيء الظنّ بهم

---

(١) جامع بيان العلم ٢/٩٥ - ٩٦.

(٢) جامع بيان العلم ٢/٩٦.

ونهجر طريقتهم ونصير إلى اتّباع أهل الكلام والاقتداء بهم، وهذا من أدلّ الأشياء على ضلاله وقبح مقاله، فإنّه لولا مخالفته لهم وسلوكه غير طريقتهم لما نفّرنا منهم.

على أنّه قد قال في آخر هذه المقالة: فاللّهَ اللّهَ الزموا طريقة السلف الصالح، فناقض كلامه هذا تستّراً بعد أن فضح نفسه وكشف الستر عنها بذمّه لقولهم وتنفيره من اتّباعهم ودعايته إلى مخالفتهم. ولسنا ممّن يقبل قوله في ذمّ مَن مدحه الله تعالى ورسوله ﷺ والأئمّة، ولا نهجر طريقة من أُمرنا بسلوكها لقوله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ﴾[2] الآية.

وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم»[3]. وقال النبي ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي، فإنّ أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[4]. وقال ﷺ: «إنّ الله اختارني واختار أصحابي فجعل لي منهم أصهاراً وأنصاراً»[5]. وقال ﷺ: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ»[6].

---

(١) سورة التوبة: آية ١٠٠.

(٢) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ومسلم (٢٥٣٥).

(٤) أخرجه البخاري ٢٧/٧ في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً. ومسلم (٢٥٤١) وأبو داود (٤٦٥٨) والترمذي (٣٨٦٠).

(٥) ضعفه الألباني، انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١٥٣٥) غير أنني وجدته عند الحاكم قال فيه: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي. انظر المستدرك ٦٣٢/٣.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٤٦٠٧) باب لزوم السنة، والترمذي (٢٦٧٨) وإسناده صحيح، ورواه أحمد في المسند ١٢٦/٤، وابن ماجه في المقدمة (٤٢).

وقال ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر»[1] وقال ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم[2]. وقال ﷺ حين ذكر الفِرَق: إنّها كلّها في النار إلّا واحدة قيل: مَن الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[3].

ويُرْوَى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمّد ﷺ خير قلوب العباد، فبعثه برسالته. ثمّ نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعده، فاختارهم لصحبة نبيّه ونصرته ﷺ ولم يزل أئمّتنا يحثّوننا على اتّباع سبيلهم والاهتداء بهديهم[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم متأسّياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنّهم كانوا أبرّ هذه الأمّة قلوباً وأعمقها علماً وأقلّها تكلّفاً وأقربها هدياً وأحسنها حالاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتّبعوا/ آثارهم، فإنّهم كانوا على الهدى المستقيم[5]. ورُوي عن الحسن البصريّ رحمه الله تعالى بعض هذا الكلام أو قريب منه.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٠٧) وقال: حديث حسن، ورواه أحمد في المسند ٣٩٩/٥، الحاكم ٧٥/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) إسناده ضعيف. رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٩١/٢ من حديث سلاّم بن سليم عن الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر. قال أبو بكر بن البزار: «هذا الكلام لم يصح عن النبي ﷺ، وقال ابن حزم: «هذا خبر مكذوب موضوع باطل» انظر التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر العسقلاني ١٩٠/٤.

(٣) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٤٣) وقال: حسن غريب. وفي سنده عبدالرحمٰن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف، وإنما يتقوى بروايات أخرى كحديث معاوية وغيره فيرتقي إلى مرتبة الحسن.

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/١ ـ ١٧٨ وقال: رواه أحمد موقوفاً، انظر المسند ٣٧٩/١، والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون، وصححه الحاكم ٧٨/٣ ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه ابن عبدالبرّ في جامع بيان العلم ٩٧/٢، والسيوطي في صون المنطق والكلام ١٣٨ وأبو نعيم في الحلية ٣٠٥/١ منسوباً إلى ابن عمر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[١]. وقال رضي الله عنه: إنّا نقتدي ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع، ولن نضلّ ما تمسّكنا بالأثر[٢]. وقال رضي الله عنه أنا لغير الدجّال أخوف عليكم من الدجّال أمورٌ تكون من كبرائكم، فأيّما مُرَيّة أو رُجَيل أدرك ذلك الزمان فالسمت الأوّل، فأنا اليوم على السنّة[٣].

وقال حذيفة بن اليمان: يا معشر القرّاء! خذوا طريق مَن قبلكم، فوالله لئنْ استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً[٤].

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: أصول السنّة عندنا التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكلّ بدعة ضلالة[٥].

ورُوي عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه كلامٌ معناه: قف حيث وقف القوم، فإنّهم عن علم وقفوا وببصر ناقد قد كفّوا، وإنّهم، على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدَثَ بعدهم فما أحدثه إلّا مَن سلك غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، ولقد تكلّموا منه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصّر وما فوقهم مجسّر، لقد قصر عنهم

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٨١ وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، ورواه الدارمي في سننه ١/٦٩ عن يعلى عن الأعمش عن حبيب عن أبي عبدالرحمٰن قال: قال عبدالله..» واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/٨٦.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/٨٦ من رواية العلاء بن المسيب عن أبيه.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/٨٦ والدارمي ١/٧١ باختلاف يسير.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة رقم (١٠٦)، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٨٠، واللالكائي في شرح أصول السنة ١/٩٠. وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٢/٩٧.

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٧١، وطبقات الحنابلة ١/٢٤١.

قوم فجفوا، وطمح آخرون عنهم فغلوا، وإنّهم فيما بين ذلك لَعلى هدىً مستقيم[1].

وقال الأوزاعيّ إمام أهل الشام رحمه الله تعالى: أصبر نفسك على السنّة، وقِفْ حيث وقف القوم، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنّه يسعك ما وسعهم، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عمّا كفّوا، ولو كان هذا خيراً ما خصّصتم به دون أسلافكم، فإنه لم يُدّخر عنهم خيرٌ خُبىء لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ اختارهم الله تعالى وبعثه فيهم ووصفهم فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية[2][3].

وسأل رجلٌ الحسن بن زياد اللؤلؤيّ عن زفر بن الهذيل: أكان ينظر في الكلام؟ فقال: سبحان الله ما أحمقك! ما أدركتَ مشيختَنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة؟ ومَن جالسنا وأخذنا عنهم يهمّهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدّمهم؟[4].

فهؤلاء الأئمة وهذا قولهم يحثّوننا على اتّباع سلفنا والاقتداء بهم. أفترانا نترك قول الله سبحانه وتعالى وقول رسوله ﷺ ووصيّة أئمّتنا في ترك اتّباع سلفنا ونقبل قول ابن عقيل في قوله: دعوا الاقتداء بهم وقلّدوني

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة ١/٣٢٠ وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٦/٢٣٥، ميزان الاعتدال ٢/٥٨٠، طبقات ابن سعد ٧/٤٨٨، حلية الأولياء ٦/١٣٥. البداية والنهاية ١٠/١١٥.

(٢) رواه الآجري في الشريعة ١٤٢ عن أبي إسحٰق الفزاري.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٤) رواه السيوطي في صون المنطق والكلام ١٣٦ عن الحسن بن زياد اللؤلؤي. وانظر ترجمة زفر بن الهذيل رحمه الله في طبقات ابن سعد ٦/٣٨٧ والمعارف لابن قتيبة ٤٩٦ والانتقاء لابن عبدالبر ١٧٣ ولسان الميزان للحافظ ابن حجر ٢/٤٧٦ وشذرات الذهب ١/٢٤٣، والفهرست لابن النديم ١/٢٠٤، سير أعلام النبلاء ٨/٣٨.

واتّبعوا قولي وقول أمثالي من المتكلّمين. ولسان حاله يقول: أنا الكثير/ الزلّات، أنا المعروف بالبدع والضلالات، أنا الكثير العثار، أنا الجاهل بالآثار، أنا المختار علم الكلام المذموم على علم نبيّنا المختار، فاتّبعوني ودعوا اتّباعه، فإنّه يدعوكم إلى النجاة وأنا أدعوكم إلى النار.

ثمّ لا خلاف بيننا أنّ الإجماع حجّة قاطعة، فإذا اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على أمر ثمّ اتّبعهم عليه أئمّة التابعين واقتدى بهم مَن بعدهم من الأئمّة في كلّ عصر وزمان وحثّ بعضهم بعضاً على التمسّك به وحذّروا أصحابهم من مخالفته فكيف يُقال لمتّبع ذلك أحمق مغترّ؟ إنّما الأحمق المغترّ المخطىء المبتدع هو المخالف لذلك الراغب عنه. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1].

فإن قال: إنّما أُمرتم بالاجتهاد والمصير إلى ما دلّ عليه الدليل ونُهيتمُ عن التقليد المذموم[2] قلنا: الجواب عن هذا من أوجه أحدُها أنّ طريق

---

(١) سورة النساء: آية ١١٥.

(٢) إن علم الكلام ناشىء عن تقليد خلف المتكلمين عن سلفهم. فإنه بالنظر إلى كتبهم تجدهم يعول بعضهم على كلام بعض، وهم بجملتهم مقلدون للمنطق اليوناني الأرسطي. فإنهم لم ينشئوا قواعد الجوهر والعرض باجتهادهم ونباهتهم وإنما أخذوه عن أرسطو وغيره. وفرق بين تقليد الأنبياء وأصحابهم وبين تقليد أهل الفلسفة.

ولا نسلم للمتكلمين أن يسموا اتباع نبينا ﷺ والسلف الصالح تقليداً وإنما هو اتباع وأخذٌ بالسنن والآثار. وليس ذم ذلك إلا اغراءً للخروج عنه.

ولقد أبدىٰ الحافظ ابن حجر تعجبه الشديد من نبذ أهل الكلام: «ينكرونه وهم أول الداعين إليه. حيث آل الأمر بهم إلى تكفير من قلد رسول الله ﷺ وكفى بهذا ضلالاً. مع أن هذا المبدأ مأخوذ من المعتزلة حيث ذهبت المعتزلة إلى أن من لم يعرف الله بالنظر والدليل فهو كافر. وأن مثل هذا القول يلزم منه الحكم بعدم إيمان أكثر المسلمين.

ثم نقل الحافظ عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالب من أسلم من الناس في =

السلف قد ثبت بالدليل القاطع سلامته، وصحّة حجّته من الكتاب والسنّة والإجماع، فلا حاجة إلى الكشف عن صحّته بدليل آخر. الثاني أنّ في هذا القول إلزاماً للعامّة بالاجتهاد في دقائق الأمور والاعتقادات، وهذا خطأ من وجوه:

أحدُها: أنّ فيه تخطئة رسول الله ﷺ، فإنّ النبيّ ﷺ لم يأمر أحداً من أمّته بعلم الكلام والنظر في أدلّة العقول ليعرف به صحّة معتقده، بل قنع منهم بمجرّد الإسلام. وقال ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله، فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها، وحسابهم على الله عزّ وجلّ»[1] أفترى بكون النبيّ ﷺ مخطئاً في قبول ذلك منهم وقناعته بمجرّد إسلامهم من أن يتعلّموا علم الكلام وينظروا في العرض والجوهر والجسم ويكون المتكلّمون هم المصيبون في خطأ من لم يتعلّم ذلك ولم ينظر فيه؟ فإن كان هذا هكذا فليدّعوا لأنفسهم شريعة وديناً غير دين الإسلام ويَدَعوا دين محمّد ﷺ.

الثاني: أنّ تكليف العامّة الاجتهاد تكليف ما لا يُطاق. فإنّهم لو اشتغلوا بعلمٍ ما يصيرون به مجتهدين لانقطعوا عن المَعايش والحراثة والزراعة وخربت الدنيا وهلك الخلق وانقطع النسل وتُرك الجهاد وخربت الدنيا، ولا سبيل إلى هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2].

= عهد النبي ﷺ لم يعرفوا إثبات معرفة الله بالنظر والدليل بطريقة المتكلمين. وأن ذلك يسمى اتباعاً لا تقليداً. (انظر فتح الباري ١٣/ ٣٥٠ و٣٥٣ و٣٥٤).

(١) هذا لفظ الترمذي (٢٦١٠) في الإيمان. والحديث أخرجه البخاري في أول الزكاة. وفي كتاب استتابة المرتدين باب من أبى قبول الفرائض. ومسلم (٢١) والنسائي ٥/١٤، وأبو داوود ٢٦٤٠ وأحمد في المسند ٢/٣٤٥، ٣/٣٩٤، ١/١١ و١٩ و٣٥ و٤٨. والحاكم ١/٣٨٦ - ٣٨٧ والبيهقي في سننه ٣/٩٢ و٤/١٠٤ و١١٤ و٦/٣٣٦ و٧/٣ و٤ و٨/١٣٦ و١٧٦ - ١٧٧ و١٩٦ و٩/٤٩ و١٨٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

الثالث: أنّ الإجماع منعقد على أنّ العامّة لا يكلَّفون الاجتهاد في أحكامهم وأنّ لهم تقليد العلماء في أمورهم، وكذلك أمرهم الله تعالى بسؤال علمائهم فقال: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

الرابع: أنّ في القول بوجوب الاجتهاد على الكلّ حكماً على عامّة الخلق بالضلال لتضييعهم الواجب عليهم. وإنّما الذي قيل إنّه لا يجوز لهم التقليد هو الأمر الظاهر الذي قد علموه لظهوره من غير احتياج إلى تعب ولا فكر ولا نظر كتوحيد الله سبحانه وتعالى ورسالة محمّد ﷺ، ومعرفة وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان وسائر الأركان التي اشتهر وجوبها وعُلم ذلك بالإجماع عليها، فلا يُحتاج فيه إلى بحث ولا نظر، فهذا لا يجوز تقليدهم فيه. وأمّا دقائق الاعتقادات وتفاصيل أحكام العبادات والبياعات فما يقول بوجوب اجتهادهم فيها إلّا جاهل، وهو باطل بما ذكرناه.

ثمّ إن اغترّ مغترّ بقول ابن عقيل هذا ولم يقنع باتّباع سلفه ولا رضي باتّباع أئمّته ولم يجوّز تقليدهم في مثل السكوت عن تأويل الصفات التي وقع الكلام فيها فكيف يصنع؟ فهل له سبيل إلى معرفة الصحيح من ذلك باجتهاد نفسه ونظر عقله؟ ومتى ينتهي إلى حدّ يمكنه التمييز بين صحيح الدليل وفاسده؟ فهذا ابن عقيل الذي زعم أنّه استفرغ وسعه في علم الكلام مع الذكاء والفطنة في طول زمانه ما أفلح ولا وُفّق لرشد، بل أفضى أمره إلى ارتكاب البدع المضلّات والخطأ القبيح ومفارقة الصواب حتّى استُتيب من مقالته وأُقرّ على نفسه ببدعته وضلالته. فأنت أيّها المغترّ بقوله هذا متى تبلغ إلى درجته؟ فإذا بلغتها فما الذي أعجبك من حالته حتّى تقتدي به؟ وقد ذكرنا ما قاله الأئمّة في ذمّ الكلام وأهله، ونسأل الله تعالى السلامة.

الوجه الخامس: إنّنا إذا نظرنا في الدليل وجدناه يقضي خلاف ما دعا

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٧.

إليه ابن عقيل من الإيمان بالآيات وأخبار الصفات مع الإقرار والتسليم وترك التأويل والتعطيل والتشبيه والتمثيل على ما هو مذهب السلف الصالح والأئمّة المرضيّين رحمة الله عليهم أجمعين. وبيان ذلك من وجوه تسعة:

أحدُها: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[1] فذمّ متّبع التأويل وقرنه بمبتغي الفتنة في الذمّ، وجعل ابتغاءه لذلك علامة على الزيغ، فدلّ ذلك على أنّ ابتغاءه غيرجائز. ثمّ قطعهم عمّا أمّلوه وحجبهم عن بلوغ ما ابتغوه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. ثمّ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾. ثمّ سألوا ربّهم أن لا يجعلهم مثل متّبعي التأويل الزائغين فقالوا: ﴿رَبَّنَا/ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

الوجه الثاني: أنّه لو كان تأويل ذلك واجباً لبيّنه النبيّ ﷺ لأمّته، فإنّه لا يجوز تأخير البيان عن وقته، ولأنّه لو وجب علينا التأويل لوجب عليه ﷺ، فإنّه ﷺ مساوٍ لنا في الأحكام، ولو وجب عليه لما أخلّ به، ولأنّه ﷺ حريص على أمّته لم يكتم عنهم شيئاً أمره الله به. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2].

الوجه الثالث: أنّه قد ثبت أنّ مذهب السلف رضي الله عنهم ومَن بعدهم من الأئمّة في هذه الآيات الإقرار والإمْرار والرضاء والتسليم من غير تأويل ولا تعطيل، وقد بيّنّا بالدليل أنّ مذهبهم الحقّ وأنّهم على الهدى المستقيم، فلا يجوز مخالفة سبيلهم ولا العدول عن طريقهم.

---

(١) الآية وما بعدها: سورة آل عمران: آية ٧ ـ ٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

الوجه الرابع: أنّ التأويل حكم على الله عزّ وجل بما لا يعلمه [المتأوّل] وتفسير مراده بما لا يعلم أنّه أراده. فإن أكثر ما عند المتأوّل أنّ هذه اللفظة تحتمل هذا المعنى في اللغة وليس يلزم من مجرّد احتمال اللفظ للمعنى أن يكون مراداً به، فإنّه كما يحتمل هذا المعنى يحتمل غيره، وقد يحتمل معاني أُخَر لا يعلمها. وليس له إحاطة بمقتضى اللغات، لا سيّما المتكلّمين فإنهم بعداء من معرفة اللغات والعلوم النافعة(١). وقد حرّم الله تعالى عليه القول بغير علم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

الوجه الخامس: أنّ التأويل حدثٌ في الدين. فإنّ الحدث كلّ قول في الدين ماتت الصحابة رضي الله عنهم على السكوت عنه. والحدث في الدين هو البدعة التي حذّرناها نبيُّنا ﷺ وأخبرنا أنّها شرّ الأمور، فقال عليه الصلاة والسلام: شرّ الأمور محدثاتها. وقال ﷺ: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة»(٣) والمتأوّل تارك لسنّة رسول الله ﷺ وسنّة الخلفاء الراشدين، وهو محدث مبتدع ضالّ بحكم الخبر المذكور.

الوجه السادس: أنّ التأويل تكلّف وحمق وتنطّع وكلام بالجهل وتعرّض للخطر فيما لا تدعو إليه حاجة. فإنه لا حاجة لنا إلى علم معنى ما أراد الله تعالى من صفاته جلّ وعزّ، فإنه لا يُراد منها عمل ولا يتعلّق بها

---

(١) وهم متفقون فيما بينهم أن التأويل لا يجري مجرى القطع وإنما هو محتمل مظنون لأن يكون مراداً لله تعالى، ولم يقل أحد منهم بأن ما تأوله يقطع ويجزم بصحة مراد الله تعالى له.

(٢) سورة الأعراف: آية ٣٣.

(٣) تقدم تخريجه.

تكليف سوى الإيمان بها[1]. ويمكن الإيمان بها من غير علم معناها. فإنّ الإيمان بالجهل صحيح. فإنّ الله تعالى أمر بالإيمان بملائكته وكتبه ورسله/ وما أنزل إليهم وإن كنّا لا نعرف من ذلك إلّا التسمية. وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2] الآية. وقد نُهينا عن التبدّي والتنطّع والتكلّف. وقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[3].

الوجه السابع: أنّه لو كان التأويل واجباً لم يخلُ إمّا أن يجب على الأعيان أو على من قام عنده دليله. فإن وجب على الأعيان ولزم الخلق كلّهم من عدم المعرفة بدليله ففيه تكليف القول بالجهل والتهجّم على صفات الله سبحانه وتعالى وكتابه وآياته بالتخرّص والحدس. وهذا حرام بالاتّفاق. وإن كان غير واجب على من لا يعلمه فكيف يأمرون به عامّة الناس ومن لا يعلمه وينكرون عليهم تركه؟ ولو كانوا ذوي تقوى أعفوا العامّة عن التأويل وأمروهم بترك التعرّض لما لا يعلمون.

الوجه الثامن: أنَّ التأويل قول في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله ﷺ بالرأي.. ومن قال في كتاب الله برأيه وإن أصاب فقد أخطأ[4]. وقد قال أبو

---

(١) هذا عجيب من المصنف رحمه الله. كيف يقال أنه لا حاجة لنا إلى العلم بمعناها وأعظم الآيات في القرآن لا تتضمن إلا آيات صفات الله تعالى. فسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن وهي لا تعدو أربع آيات. وكذلك آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله وليس فيها إلا صفات الله عز وجل. وقد أمرنا ربنا أن نسأله بأسمائه وصفاته، كذلك كان رسول الله ﷺ يدعوه بها ويلح عليه في السؤال بها؟ اللهم إلا أن يريد المصنف بالمعنى: معنى كيفية الصفة: فهذا مقبول منه فإن معنى كيفية الصفة ميئوس لا سبيل إلى معرفته ومطالعته.

(٢) سورة البقرة: آية ١٣٦.

(٣) سورة صٓ: آية ٨٦.

(٤) هذا حديث من رواية جندب بن عبدالله رضي الله عنه: رواه الترمذي رقم (٢٩٥٣) في التفسير، وأبو داوود في العلم (٣٦٥٢) وفي سنده سهيل بن حزم لا يحتج به، ضعفه البخاري وأحمد وأبو حاتم.

بكر الصدّيق رضي الله عنه حين سُئل عن الأبّ فقال: أيّ سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم؟[1].

الوجه التاسع: أنّ المتأوّل يجمع بين وصف الله تعالى بصفةٍ ما وصف بها نفسه ولا أضافها إليها، وبين نفي صفة أضافها الله تعالى إليه. فإذا قال: معنى استوى «استولى» فقد وصف الله تعالى بالإستيلاء والله تعالى لم يصف بذلك نفسه[2]، ونفى صفة الاستواء مع ذكر الله تبارك وتعالى لها في القرآن في سبعة مواضع. أَفَما كان الله سبحانه وتعالى قادراً على أن يقول: «استولى» حتّى جاء المتكلّف المتأوّل فتطرّف وتحكّم على الله سبحانه وعلى رسوله؟ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً!.

وإذا انسدّ باب التأويل من هذه الطرق كلّها مع أنّ في واحد منها كفاية لم يبقَ إلاّ الطريق الواضح والقول السديد وسلوك سبيل الله تعالى التي دلّت على استقامتها الآثار وسلكها الصحابة الأبرار والأئمّة الأخيار، ومضى عليها الصالحون، واقتفاها المتّقون وأوصى بلزمها الأئمّة الناصحون

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره ١/٥ من طريقين: أحدهما عن شعبة عن سليمان بن عبدالله بن مرة بن أبي معمر. والثاني عن أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي.

(٢) تفسير الاستواء بالإستيلاء ثابت عن المعتزلة بالدليل القاطع الذي أبينه على النحو الآتي:

١ ـ قال الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ص ١٥٧ و ٢١١: وقالت المعتزلة: ﴿الرحمٰن على العرش استوىٰ﴾ يعني استولى. وقال أبو منصور البغدادي: «زعمت المعتزلة أن استوى بمعنى استولى (عن كتابه أصول الدين ١١٢) ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني عن ابن بطال قوله: «فأما قوله المعتزلة ـ أن الاستواء بمعنى الإستيلاء ـ فهو قول فاسد» (فتح الباري ١٣/٤٠٥ ـ ٤٠٦) وانظر إلى كتب المعتزلة: كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ٢٢٦، وكتابه متشابه القرآن ٧٢. ولتتأكد بنفسك بأن ما يتمسك به الأشاعرة والماتريدية في تفسير الاستواء يتفق مع قول المعتزلة الذي أنكره الإمام الأشعري نفسه.

الصادقون، وهي الإيمان بالألفاظ والآيات والآخبار بالمعنى الذي أراده الله تعالى والسكوت عمّا لا نعلمه من معناها، وترك البحث عمّا لم يكلّفنا الله البحث عنه من تأويلها ولم يطلعنا على علمه، واتّباع طريق الراسخين الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين حين قالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[1]. فهذا الطريق السليم الذي لا خطر على سالكه، ولا وحشة على صاحبه، ولا مخافة على مقتفيه، ولا ضرر على السائر فيه، من سلكه سلم، ومن فارقه عطب وندم، وهو سبيل المؤمنين الذي دلّت عليه السنّة وسلكه صالح الأمّة ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا/ تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[2].

وعائب هذه المقالة لا يخلو إمّا أن يعيب الإيمان بالألفاظ أو السكوت عن التفسير أو الأمرين معاً. فإن عاب الإيمان بالألفاظ فهي قول ربّ العالمين ورسوله الصادق الأمين ﷺ، فعائبها كافر بالله العظيم. ولأنّ عائب الإيمان بما لا يخلو من أن يكون مؤمناً بهما أو كافراً، فإن كان مؤمناً بهما فكيف يعيب ما هو عليه؟ وإن كفر بهما خرج من الإسلام وكفر بالإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ٱلْكَافِرُونَ﴾[3].

وإن عاب السكوت عن التفسير أخطأ. فإنّنا لا نعلم لها تفسيراً، ومن لم يعلم شيئاً وجب عليه السكوت عنه وحُرّم عليه الكلام فيه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[4]. وذكر الله تعالى في المحرّمات: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5]. وإذا فعلنا ما أوجب الله تبارك

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧.
(٢) سورة النساء: آية ١١٥.
(٣) سورة العنكبوت: آية ٤٧.
(٤) سورة الإسراء: آية ٣٦.
(٥) سورة الأعراف: آية ٣٣.

وتعالى علينا وتركنا ما حرّمه فلا وجه لعيبنا به، وإنّما العيب على من خالف ذلك وعابه.

وأيضاً فإنّ عائب هذه المقالة عائب على رسول الله ﷺ، فإنّه كان يؤمن بالله وكلماته ولم يفسّر شيئاً من ذلك[1] ولا بيّن معناه. ومن عاب على رسول الله ﷺ فليس بمؤمن به ﷺ، ومن عاب على رسول الله ﷺ فهو المخطىء الآثم المعيب المذموم.

ثمّ العائب لها عائب على الراسخين الذين أثنى الله تعالى عليهم [و]الأمرِ الذي مدحهم الله تعالى به من التسليم والإيمان. ثمّ هو مزرٍ على السلف أجمعين. ولا مرية في خطأ من عاب هؤلاء كلّهم وبدعته وضلالته

ثمّ هو مزرٍ على السلف أجمعين. ولا مرية في خطأ من عاب هؤلاء كلّهم وبدعته وضلالته.

وإذا دخلنا نحن في جملة الذين أثنى الله تعالى عليهم وصوّب فعلهم وقولهم لم يضرّنا عيب مفتون مبتدع مخذول. وإذا سلكنا سبيل ربّنا عزّ وجلّ التي رضيها لنا لم نبالِ برغم أنف من سلك سبيل إبليس اللعين المفضية به إلى سواء الجحيم.

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ ٱلشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلُ

---

(١) لقد أخذ الصحابة تفسير القرآن عن النبي ﷺ، وقد ثبت عنهم من تفسير آيات الصفات الشيء الكثير كتفسير ابن عباس لصفة «الصمد» وتفسير لمعنى الاستواء وغيرها، وأخذ مجاهد وأبو العالية التفسير عن ابن عباس وفسروا معنى الاستواء.
ثم القرآن يجب تدبره وفهمه، فلا يجوز مخالفة وجوب تدبره وفهمه إلا بدليل وعلى النافي الدليل. أما الإثبات فقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ ومنع تدبر بعض آياته لا يجوز ادعاؤه بغير دليل. ولا يقتضي خوض الخائضين في نصوص الصفات بغير علم أن نلجأ إلى منع فهم معناها. كما أنه لا يجوز لنا أن نقول ذلك في نصوص القدر إذا خاض الخائضون فيها بغير علم. وإنما نعلم معاني نصوص القدر ونسلم حقيقة القدر وسره إلى الله. فكذلك القاعدة في نصوص الصفات.

وعلى كلٍّ فليس لنا قول نُعاب به. إن عيبت علينا الألفاظ التي آمنا بها فما عِيب إلاّ قائلها ولا كفروا إلاّ بالمتكلّم بها، وهو الذي يجازيهم على كفرهم وإلحادهم. وإن عِيب علينا السكوت فليس السكوت بقول، ولا يُنسَب إلى ساكت قول. وإن قالوا: قد اعتقدتم التشبيه منها فقد كذبوا علينا ونسبوا إلينا ما قد علم الله تعالى براءتنا منه. ثمّ ليس لهم اطّلاع على قلوبنا، وإنّما يعبّر عمّا في القلب اللسانُ، وألسنتا تصرّح بنفي التشبيه والتمثيل والتجسيم، فليس لهم أن يتحكّموا علينا بأن ينسبوا إلينا ما لم يظهر منّا ولم يصدر عنّا. والإثم على الكاذب دون المكذوب كما أنّ حدّ القذف على القاذف لا على المقذوف، وكفانا مدحاً وبراءةً أنّ خصومنا لا يجدون لنا عيباً يعيبوننا به هم فيصادَقون ونحن به مقرّون، وإنّما يعيبوننا بكذبهم، ولو قدروا على عيب لما احتاجوا/ إلى الكذب.

فصـل:

وأمّا قوله إنّ الإخبار يجب إطراحها لأنّها أخبار آحاد وقد ثبت بأدلّة العقول القطع بنفي التشبيه والتجسيم[1] فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: بيان وجوب قبول هذه الأخبار لوجهين: أحدهما اتّفاق الأئمّة على نقلها وروايتها وتخريجها في الصحاح والمسانيد وتدوينها في الدواوين وحكم الحفّاظ المتّفقين عليها بالصحّة وعلى رواتها بالإتقان والعدالة، فطرحها مخالف للإجماع خارج عن أهل الاتّفاق، فلا يُلتَفت إليه ولا يُعرَج عليه والثاني أنّ رواة هذه الأخبار هم نقلة الشريعة ورواة الأحكام وعليهم

(١) حجة المتكلمين في طرح أخبار الآحاد في العقائد حجة ضعيفة تنم عن ضعف تمرسهم بالدين وكثرة تناقضهم. فإن في القرآن ـ وهو متواتر ـ من نصوص الصفات الشيء الكثير وقد تأولوها على غير محملها، فلماذا لم يمضوا في الآحاد على هذا النسق من غير نفيها؟!! بمعنى آخر: هل كانوا ليثبتوا أحاديث الصفات لو كانت متواترة لا آحاد؟ فإن القرآن متواتر وهم لم يسلموا بنصوص الصفات التي فيه حتى تأولوها وخرجوا بها عن المعقول والمنقول.

الاعتماد في بيان الحلال والحرام في الدين. وإذا أبطلنا قولهم بتأويلنا وجب ردّ قولهم ثمَّ فتبطل الشريعة ويذهب الدين.

الجواب الثاني: أنّنا لا نسلّم له في جميعها أنّها أخبار آحاد. فإنّ منها ما نُقل من طرق كثيرة متواطئة يصدّق بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض. فهي وإن لم تتواتر آحادها لكن حصل من المجموع القطع واليقين بثبوت أصلها، ويكفي ذلك في التواتر. فإنّنا نقطع بسخاء حاتم وشجاعة عليّ وعدل عمر وعلم عائشة وخلافة الخلفاء الأربعة ولم يُنقَل إلينا فيها خبر واحد متواتر، لكن تظاهرت الأخبار بها وصدّق بعضها بعضاً ولم يُوجُد لها مكذّب، فحصل التواتر بالمجموع. كذا ههنا.

وأمّا ما يموّه به من نفي التشبيه والتجسيم فإنّما هو شيء وضعه المتكلّمون وأهل البدع توسّلاً به إلى إبطال السنن وردّ الآثار والأخبار والتمويه على الجهّال والأغمار ليوهّموهم: إنّما قصدنا التنزيه ونفي التشبيه. وهذا مثل عمل الباطنية في التمسّك بأهل البيت وإظهار بحثهم إيهاماً للعامّة أنهم قصدوا نصرهم. وإنّما تستّروا بهم إلى إبطال الشريعة والتمكّن من عيب الصحابة والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم بنسبتهم إليهم وظلم أهل البيت والتعدّي عليهم.

كذلك طائفة المتكلّمين والمبتدعة تمسّكوا بنفي التشبيه توسّلاً إلى عيب أهل الآثار وإبطال الأخبار، وإلّا فمن أيّ وجه حصل التشبيه؟ إن كان التشبيه حاصلاً من المشاركة في الأسماء والألفاظ فقد شبّهوا الله تعالى حيث أثبتوا له صفات من السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والحياة مع المشاركة في ألفاظها. ولله تسعة وتسعون اسماً ليس فيها ما لا يُسمّى به غيره إلّا اسم الله تعالى والرحمٰن وسائرها يُسمّى بها غيره سبحانه وتعالى ولم يكن ذلك تشبيهاً ولا تجسيماً.

ثمّ كيف يعملون في الآيات الواردة في الصفات؟ فهل لهم سبيل إلى

ردّها أو طريق في إبطالها أو يثبتونها مع التشبيه في زعمهم؟ ولقد علموا إن شاء الله أنّ لا تشبيه في شيء من هذا ولكنّهم قبّحهم الله تعالى / يبهتون ولا يستحيون. وإن كان الله تعالى قد أعمى قلوبهم حتّى ظنّوا ذلك فما هو ببعيد. فقد رأينا من ينسب قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إلينا على وجه العيب لنا بها فيقول: أنتم تقولون: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾،[1] وأنتم تقولون: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2] وأنتم تقولون: ينزل الله كلّ ليلة إلى سماء الدنيا[3]. وهذا كلام الله تبارك وتعالى الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4] وكلام رسوله ﷺ، حملتهم العصبيّة وعمى القلب على أن جعلوه كلاماً لنا، ثمّ عابوه علينا. ومن عاب كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله ﷺ فليس بمسلم. ومن جعل كلام الله عزّ وجلّ كلاماً لغيره فهو جاهل غبيّ.

وسمعتُ بعض أصحابنا يقول: سمعت قوماً يقولون: الحنابلة يقولون: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾. قال: فقلت لهم: يا قوم! الله الله! إنكم لتنسبون إلى الحنابلة شيئاً ما يصلحون له ولا يبلغون إليه. هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5]. فجعلتموه قولاً للحنابلة ورفعتم قدرهم حتّى جعلتموهم أهلاً لذلك. وإنّما يحصل التشبيه والتجسيم ممّن حمل صفات الله سبحانه وتعالى على صفات المخلوقين في المعنى، ونحن لا نعتقد ذلك ولا ندين به، بل نعلم أن الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

---

(١) سورة طه: آية ٥.

(٢) سورة النساء: آية ١٦٤.

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة فصلت: آية ٤٢.

(٥) سورة الإسراء: آية ٨٨.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وأنّ صفاته لا تشبه صفات المحدَثين، وكلّ ما خطر بقلب أو وهم فالله عزّ وجلّ بخلافه، لا شبيه له ولا نظير ولا عدل ولا ظهير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وأمّا إيماننا بالآيات وأخبار الصفات فإنّما هو إيمان بمجرّد الألفاظ التي لا شكّ في صحّتها ولا ريب في صدقها، وقائلها أعلم بمعناها، فآمنّا بها على المعنى الذي أراد ربّنا تبارك وتعالى، فجمعنا بين الإيمان الواجب ونفي التشبيه المحرّم. وهذا أسدّ وأحسن من قول من جعل الآيات والأخبار تجسيماً وتشبيهاً وتحيّل على إبطالها وردّها فحملها على معنى صفات المخلوقين بسوء رأيه وقبح عقيدته ونعوذ بالله من الضلال البعيد!.

فصل:

وأمّا قوله: هاتوا أخبرونا ما الذي يظهر لكم من معنى هذه الألفاظ الواردة في الصفات، فهذا قد تسرّع في التجاهل والتعامي كأنّه لا يعرف معتقد أهل السنّة وقولهم فيها، وهو قوله، وقد تربّى بين أهلها وعرف أقوالهم فيها. وإن كان الله سبحانه وتعالى قد أبكمه وأعمى قلبه إلى هذا الحدّ بحيث لا يعلم مقالتهم فيها مع معاشرته لهم واطّلاعه على كتبهم ودعواه الفهم فالله على كلّ شيء قدير.

وكم قد شرح هو مقالة أهل السنّة في هذه المسألة وبيّن الحقّ فيها بعد توبته من هذه المقالة، وبيّن أنّه إذا سألَنا سائل عن/ معنى هذه الألفاظ قلنا: لا نزيدك على ألفاظها زيادة تفيد معنىً بل قراءتها تفسيرها من غير معنىً بعينه ولا تفسير بنفسه، ولكن قد علمنا أنّ لها معنىً في الجملة يعلمه المتكلّم بها، فنحن نؤمن بها بذلك المعنى. ومن كان كذلك كيف يسأل عن معنىً وهو يقول لا أعلمه؟ وكيف يسأل عن كيفيّة ما يرى أنّ السؤال

---

(١) سورة الشورى: آية ١١.

عنه بدعة والكلام في تفسيره خطأ والبحث عنه تكلّف وتعمّق؟ أَوَ ما سمع حكاية مالك بن أنس رحمه الله تعالى ورضي الله عنه حين سُئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق حتّى علاه الرحضاء، ثمّ رفع رأسه فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثمّ أمر بالرجل فأُخرج[1].

فصـــل:

وأمّا قوله: إنّكم بدّعتم مخالفيكم في هذه الأصول وسوّغتم مخالفة أصحابكم فيها، فكذب وبهتان. فإنّنا لا نسوّغ لأحد مخالفة السنّة كائناً من كان. وإن كان من أصحابنا فنحن عليه أشدّ إنكاراً من غيره. ودليل ذلك أنك منتسب إلى أصحابنا وإمامنا فإذ صدرت منك هـذه المقالـة بدّعنـاك وهجرك أصحابنا وأحلّوا دمك، ولولا توبتـك ورجوعـك لكنّا عليـك أشدّ ومنك أبعد. ونحن لا نبدّع إلاّ من بدّعته السنّة ولا نقول شيئاً من عندنا، ولكنّ النبيّ ﷺ قال: «كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة»[2]. فمن أحدث في الدين خلاف ما أتى عن رسول الله ﷺ وخالف أصحابه رضي الله عنهم وترك قول الأئمّة والفقهاء في الدين ورجع إلى قول المتكلّمين ودعا إلى خلاف السنّة فقد ابتدع، وإنّه تعالى حسيبه والمجازي له، إن شاء تـاب عليه وإن شاء أضلّه وحقَّ القولَ عليه والله سبحانه وتعالى الفعّال لما يريد.

فصـــل:

وأمّا قوله في مسألـة القرآن فـالكلام فيهـا في فصلين أحدُهمـا في الصوت الذي بدأ بإنكاره. فنقول: ثبت أنّ موسى ﷺ سمع كلام الله تبارك وتعالى منه بغير واسطة. فإنّه لو سمعه من شجرة أو حجر أو ملَك لكان بنو إسرائيل أفضل منه في ذلك لأنّهم سمعوه من موسى نبيّ الله ﷺ وهو أفضل

(١) ذكر الحافظ في فتح الباري هذه الرواية ١٣/٤٠٦.

(٢) تقدم تخريجه.

من الشجرة والحجر. فلِمَ سُمّي موسى إذاً كليم الرحمٰن؟ ولِمَ قال الله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾؟ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾[1] ولا يقول له هذا إلّا الله تعالى.

وإذا ثبت هذا فالصوت ما سُمع وما يتأتّى سماعه. وقد جاء ذكر الصوت مصرّحاً به في الأخبار الواردة. قال عبدالله بن الإمام أحمد: قلت لأبي: يا أبه! إنّ الجهميّة يزعمون أنّ الله تعالى لا يتكلّم بصوت. فقال: كذبوا! إنّما يدوّرون علم التعطيل[2]. ثمّ قال: حدّثنا عبدالرحمٰن بن محمّد المحاربيّ عن سليمان بن مهران/ الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله رضي الله عنه قال: إذا تكلّم الله بالوحي سمع صوتَه أهلُ السماء[3]. قال السجزيّ: وما في رواة هذا الحديث إلّا إمام مقبول. وقد رُوي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

وفي حديث عبدالله بن أنيس رضي الله عنه أنّ الله تعالى يناديهم يوم القيامة بصوت يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا الملك! أنا الديّان! وهو حديث مشهور[4]. وفي الآثار أنّ موسى ﷺ لمّا ناداه ربّه عزّ وجلّ: يا

---

(١) سورة طه: آية ١١.

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/٢٨٠ بلفظ فيه اختلاف.

(٣) أخرجه أبو داوود رقم (٤٧٣٨) وسنده حسن. وعلقه البخاري موقوفاً على ابن عباس في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وقد وصله البيهقي في الأسماء والصفات من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح وهو أبو صبيح وهو أبو الضحى عن مسروق». (فتح الباري ١٣/٤٥٦).
وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد ١٤٥ ـ ١٤٧ من عدة طرق، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة (١/٢٨١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾. قال الحافظ: «وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به» (الفتح ١٣/٤٥٨).

موسى! أجاب سريعاً استئناساً بالصوت، فقال: لبّيك! لبّيك! أين أنت؟ أسمع صوتك ولا أرى مكانك. فقال: يا موسى! أنا فوقك وعن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فعلم أنّ هذه الصفة لا تكون إلّا لله عزّ وجلّ. قال: فكذلك أنت يا ربّ[1] ومرويّ أنّ موسى ﷺ لمّا سمع كلام الآدميّين مقتهم لِمَا وقر في أذنيه في سماع كلام الله تعالى.

وأمّا قوله إنّ الصوت اصطكاك في الهواء أو فقرع في الهواء، فهذيان محض ودعوى مجرّدة لا يشهد بصحتها خبر ولا معه فيها أثر ولا أقام به حجّة ولا هو فيه على محجّة. فإذا قيل له: لا نسلّم أنّه كذلك فما دليله؟. فإن قال: هذا اصطلاحنا معشر المتكلّمين قلنا: فهذا أبعد من الصواب وأقرب له إلى البطلان. فإنّكم نبذتم الكتاب والسنّة وعاديتم الله سبحانه وتعالى ورسوله. فما تكادون تُوفَّقون لصواب ولا تُرشَدون إلى حقّ ولا يُقبَل قولكم ولا يُلتَفت إلى اصطلاحكم. فإن قال: هذا حدّ والحدّ لا يُمْنَع قلنا: ولِمَ لا يُمنَع؟ وهل سمعتَ بدعوى تلزم الخصم الانقياد لها بمجرّدها من غير ظهور صحّتها أو إقامة برهان عليها؟ فإن قال: لا يمكن إقامة البرهان عليها قلنا. فهذا اعتراف بالعجز عن دليلها والجهل بصحّتها. فإذا لم تعرف دليلها فبِمَ عرفتَ صحّتها؟ ومن اعترف بالجهل بصحّة ما يقول فقد كفى مؤنته واعترف لهم بجهله وبطلان قوله. وكيف يُصار إلى قولٍ لا يُدرَى أصحيح هو أو باطل؟ فكيف ينقاد خصمه إليه فيما هو معترف فيه بعمى نفسه وجهله به؟.

ومن العجب أنّ هؤلاء المتكلّمين ـ أعمى الله بصائرهم فوق ما قد أعماها ـ يزعمون أنّهم لا يرضون إلّا بالأدلّة القاطعة والبراهين اليقينيّة ويَرون الأخبار ـ زعماً منهم أنّها أخبار آحاد لا تفيد علماً يقيناً، ثمّ يستدلّون بمثل هذا الذي لا يدلّ على شيء أصلاً لا ظاهراً ولا يقيناً، بل هو بمجرّد عمىً

---

(١) لم أجد هذا الخبر.

وهذيان يصوغه من عند نفسه ويخرجه من زبد معدته. فإذا مُنعه وطولب بصحّته لم يكن معه شيء يدلّ عليه سوى أنّا قد اصطلحنا أنّ الحدّ لا يُمنع. أفَترى - إذا أعمى الله أبصارهم وبصائرهم - يظنّون أنّنا نقبل منهم مجرّد/ دعواهم ونتابعهم على عماهم؟ وإنّما مثلهم في هذا كمثل أعمىً يبول على سطح مستقبلاً الناسَ بفرجه يحسب أنّ أحداً لا يراه لمّا عمي هو عن رؤية نفسه.

ثمّ نقول: بل الصوت هو [ما] يتأتّى سماعه. وهذا هو الحدّ الصحيح الذي يشهد له العُرف. فإنّ الصوت أبداً يُوصَف بالسماع. فتعلُّق السماع بالصوت كتعلّق الرؤية بالمرئيّات ثمّ ثبت بالخبر الصحيح إضافة الصوت إلى الله تبارك وتعالى. والنبيّ ﷺ أعلم بالله تبارك وتعالى وأصدق من المتكلّمين الذين لا علم لهم ولا دين ولا دنيا ولا آخرة. وإنّما هم شرّ الخليقة الغالب عليهم الزندقة. وقد ألقى الله تعالى مقتهم في قلوب عباده وبغّضهم إليهم.

ثمّ لو ثبت أنّ الصوت في المشاهدات يكون من اصطكاك الأجرام فلِمَ يكون كذلك في صفات الله سبحانه وتعالى قولهم: إنّ ما ثبت في حقّنا يكون في الغائب مثله. قلنا: أخطأتم من وجوه ثلاثة:

أحدها: تسميتكم الله تعالى غائباً. وأسماء الله تعالى وصفاته إنّما تُوجَد من الشرع. وأنتم - قبّحكم الله - ما وجدتم لله تعالى من تسعة وتسعين اسماً اسماً تسمّونه به حتّى أحكيتم له، من عندكم اسماً؟ ثمّ قد نفى الله سبحانه وتعالى هذا عن نفسه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[1].

الثاني: أنّكم رجعتم إلى التشبيه الذي نَفْيُه معتمَدُكم في ردّ كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ وجعلتم الله تعالى مقيساً على عباده ومشابهاً لهم في صفاته وأسمائه. وهذا هو عين التشبيه فبُعداً لكم!.

---

(١) سورة الأعراف: آية ٧.

الثالث: أنّ هذا باطل بسائر صفات الله تعالى سلّمتموها من السمع والبصر والعلم والحياة. فإنها لا تكون في حقّنا إلّا من أدوات. فالسمع من انخراقٍ والبصر من حَدَقة والعلم من قلب والحياة في جسم. ثمّ جميع الصفات لا تكون إلّا في جسم. فإن قلتم إنّها في حقّ الباري كذلك فقد جسّمتم وشبّهتم وكفرتم وإن قلتم لا تفتقر إلى ذلك فلِمَ احتيج إليها هُهنا؟.

على أنّ ما ثبتِ بالكتاب والسنّة لا يُدفَع بمجرّد هذيان متكلّمكم ولا نترك قول رسول الله ﷺ لقول مبتدع متكلّف. ونحن لا نقبل قولهم فيما ليس كتاب فيه ولا سنّة. ولا لهم عندنا قدر ولا محلّ. فكيف نقبل في إبطال الكتاب والردّ على السنّة مع تمسّكنا بها ولزومنا إيّاها وعضّنا عليها بالنواجذ وحرصنا عليها حرص من يقطع بأنّ النجاة في لزومها والعطب في فراقها والخطأ والخذلان في خلافها؟ ونسأل الله تعالى الثبات عليها في الحياة والممات إلى يوم نلقاه فيجزيَنا به ويجعلَنا في زمرة شارعها ﷺ.

وأمّا شبهته في قوله: كجرّ السلسلة على الصفا في أنّ هذا تشبيه فهذا اعتراض على سيّد المرسلين محمّد رسول الله الصادق الأمين ﷺ ونسبة له إلى التمثيل والتجسيم/. ومن فعل هذا فقد مرق من الدين. وليس الأمر كما زعم هذا المتخرّص العديم الدين. ولكنّه إنّما أُتي من فساد قصده وقلّة فهمه:

وَكَمْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ

وليس هذا تشبيهاً للمسموع. وإنّما شُبّه السماع بالسماع أيّ سماعنا له كسماعنا لذلك. كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام في الخبر الآخر: إنّكم تَرَون ربّكم كما ترون القمر لا تَضامُّون في رؤيته[1] يعني أنّ رؤيتكم

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر، وفي تفسير سورة (ق) وفي التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة، ومسلم رقم (٦٣٣) وأبو داود رقم (٤٧٢٩) والترمذي (٢٥٥٤).

لربكم كرؤيتكم للقمر في أنّه لا يراه البعض دون البعض. كالمتناول لا يحتاج في رؤيته إلى أن ينضمّ بعضهم إلى البعض. كما في رؤية الهلال يجتمع بعضهم إلى بعض لِيُرِيَه مَن يراه مَن لم يَرَه. ورؤية القمر ليست كذلك. ولهذا رُوي لا تُضامون. ولا تَضامُّون في الضيم والضمّ جميعاً. وهذا كذلك في تشبيه السماع بالسماع لا المسموع بالمسموع.

ومن قصد الحقّ أرشده الله تعالى إلى الصواب، فحصلت له الحِكَم والفوائد من كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ. ومن قصد غير ذلك أعماه الله تعالى عن الهدى، فصار القرآن والسنّة عنده شُبَهاً فضلّ بها. قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾[1]. ونظير ذلك ضوء الشمس تضيء لصحيح البصر، ومَن ضعُف بصره ومرضت عينه أعشاه ضَوْؤها فأعماه. قال الشاعر:

الْعِلْمُ لِلرَّجُلِ ٱللَّبِيبِ زِيَادَةٌ ... وَنَقِيصَةٌ لِلأَحْمَقِ ٱلطَّيَّاشِ
مِثْلُ ٱلنَّهَارِ يَزِيدُ أَبْصَارَ ٱلْوَرَى ... نُوراً وَيُعْمِي أَعْيُنَ ٱلْخَفَّاشِ

وأمّا ما ذكر من تفاصيل شُبَهه الكلاميّة فلا نخوض معه فيها. ولكنْ علمنا بطلانها من أصلها. وقد بيّنّا ـ بما سبق ـ فسادَ علم الكلام من أصله وذمَّ أئمّتنا له واتّفاق أهل العلم على أنّ أصحابه أهل بدع وضلالة وأنّهم غير معدودين من أهل العلم، وأنّ من اشتغل به يتزندق ولا يفلح. وقد ظهر برهان قول الأئمّة وصدقهم في صاحب هذه المقالة. فإنّه أفضت حاله إلى الزندقة والبدعة حتّى بُدّع وضُلّل وأُبيح دمه، واحتاج إلى التوبة والإقرار على نفسه بأنّه كان على البدعة والضلالة وأنّ المنكر عليه مصيب في إنكاره عليه. وهذه المقالة من جملة الضلالات التي تاب منها والبدع التي رجع عنها.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٢.

فصــل:

وأمّا إثبات حروف القرآن فإنّ القرآن هو هذا الكتاب العربيّ المنزَّل على محمّد ﷺ الذي هو سُوَر وآيات وحروف وكلمات. من قرأه فأعربه فلَهُ بكلّ حرف منه عشر حسنات. فمن أقرّ بهذا وعلمه فقد أقرّ بالحروف، فلا وجه بعد ذلك لإنكاره ولاَ لِمَجْمَجَتِهِ. ومن أنكر هذا ففي القرآن أكثر من مائة آية تردّ عليه، فإجماع المسلمين يكذّبه وسنّة رسول الله ﷺ وقول أصحابه/ رضي الله عنهم ومَن بعدهم يكفره.

فكم في القرآن من آية يقول فيها: إنّ ﴿هٰذَا ٱلْقُرْآن﴾؟ وهذا إشارة إلى حاضر. وكم فيه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا ٱلْقُرْآنِ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا ٱلْقُرْآنِ﴾[2] وكم فيه من آية وَصَفه فيها بأنّه عربيّ؟ وكم من آية تحدّاهم فيها بالإتيان بمثل هذا القرآن أو بسورة مثله؟ وكم فيه من نسبة الآيات إليه والسُّوَر والكلمات؟ وقد أوعد الله تعالى من قال هذا قول البشر بإصلائه سقر. وردّ على من قال هو شعر بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[3].

ومن المعلوم أنّ الشعر إنّما هو كلام موزون، فلا يجوز نسبته إلاّ إلى الكلام المنظوم ذي الحروف والكلمات. وقد نفى الله تعالى عنه كونه شعراً وأثبته قرآناً. ومثل هذا كثير فلأيّ معنىً يجحد الحروف بعد هذا؟ مع أنّ لفظ الحروف قد نطق به النبيّ ﷺ في أخباره وجاء عن أصحابه كثيراً وعن مَن بعدهم، وأجمع الناس على عدّ حروف القرآن وآيه وكلماته وأجمعوا على أنّ مَنْ جحد حرفاً متّفقاً عليه من القرآن فهو كافر. فما الجحد له بعد ذلك إلاّ العناد.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٢) سورة الروم: آية ٥٨.

(٣) سورة يٓس: آية ٦٩.

فصــل:

فأمّا قوله؛ فالله الله! في هذا الإقدام! وعليكم بما كان عليه السلف الصالح وترك الخوض في الله بما لم يَرِدْ به شرع ولا يطابقه عقل قلنا: قد فعلنا ذلك ـ بحمد الله ومنّته ـ من غير وصيّته وأخذنا بما كان عليه سلفنا من غير نصيحته وفارقنا من فارقهم ورددنا على من خالفهم. ومن جملة ذلك ردّدنا لقوله وتبيّنا فضيحته. وأمّا هو فإنّه بهذا القول آمر بالبرّ وناسٍ نفسه وناهٍ عن منكر ومخالف إلى ما نهى عنه. والله تعالى يمقت على ذلك. قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]. وعيّر الله تعالى اليهود بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[2].

ورُوينا في خبر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يؤتى برجل يوم القيامة فيُلقى في النار. فتندلق أقتاب بطنه، فيدور فيها كما يدور الحمار بِرَحاه. فيشرف عليه بعض من كان يعرفه في الدنيا فيقول: أيْ فلان! ما هذا؟ وإنّما معك كنّا نعلم منك! فيقول: إنّي كنت آمركم بالأمر ولا آتيه وأنهاكم عن الأمر وآتيه»[3] أو كما لُفظ الخبر.

وقد أخبر الله تعالى عن شعيب عليه الصلاة والسلام قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[4]. وقالت الشعراء في ذلك أقوالاً منها قول أبي الأسود:

يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا ٱلتَّعْلِيمُ
أَتَرَاكَ تُلْقِحُ بِٱلرَّشَادِ عُقُولَنَا ... صِفَةً وَأَنْتَ مِنَ ٱلرَّشَادِ عَدِيمُ

(١) سورة الصف: آية ٣.
(٢) سورة البقرة: آية ٤٤.
(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب صفة النار، وفي الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر. ومسلم رقم (٢٩٨٩).
(٤) سورة هود: آية ٨٨.

لَا تُنْـهِ عَنْ خُـلُقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْـلَهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْتَ عَـظِيمُ
/إِبْـدَأْ بِنَفْسِـكَ فَـٱنْهِهَـا عَنْ غَيِّهَـا فَـإِذَا ٱنْتَهَتْ عَنْـهُ فَـأَنْتَ حَكِـيمُ
فَهُنَـاكَ يَنْفَـعُ إِنْ وَعَـظْتَ وَيُقْتَـدَى بِـٱلْقَـوْلِ مِنْـكَ وَيَنْفَـعُ ٱلتَّعْلِيمُ

وقال أبو العتاهية:

[الطويل]

يَا وَاعِظَ ٱلنَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَماً إِذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أُمُـوراً أَنْتَ تَـأْتِيهَـا
كَمُلْبِسٍ، ٱلثَّوْبِ مِنْ عَرْيٍ وَعَوْرَتُهُ لِلنَّـاسِ بَـادِيَـةٌ مَـا إِنْ يُـوَارِيهَـا
وَأَعْظَمُ ٱلذَّنْبِ بَعْدَ ٱلشِّرْكِ تَعْلَمُـهُ فِي كُلِّ [نَفْسٍ] عَمَاهَا عَنْ مَسَاوِيهَا
عِـرْفَانُهَـا بِذُنُـوبِ ٱلنَّاسِ تُبْصِـرُهَا مِنْهُمْ وَلَا تَعْرِفُ ٱلْعَيْبَ ٱلَّذِي فِيهَا

وقال أيضاً:

وَصَفْتَ ٱلتُّقَى حَتَّى كَأَنَّكَ ذُو تُقىً وَرِيحُ ٱلْخَطَايَا مِنْ ثِيَابِكَ يَسْطَعُ

فهذه التي سمّاها نصيحة إنّما هي أمر بالخوض في الله عزّ وجل بغير علم والردّ لسنن الرسول ﷺ والنهي عن القناعة بقول السلف. وهي وإن كان قد تاب منها ورجع عنها فلا ينفكّ من لحوقه إثمها. ويتعلّق به إثم من ضلّ بها واغترّ بتصنيفه إيّاها[1]. فإنّ مَن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة.

وأرجو أن تكون هذه الرسالة أعظم الأشياء بركة عليه ونفعاً له من حيث أنّها تمنع الناس من الضلال بكلامه. فينقطع عنه الإثم الذي كان يعرّض الوصول إليه بضلالهم به. وأسأل الله تعالى أن يعفو عنّا وعنه فإنّه قد تاب من هذه المقالة. وله في السنّة الكلام الكثير والتصانيف الجيّدة. ولو كان محى هذه البدعة من كتابه لكان قد استراح من إثمها وأراح من الغيبة

(١) ليس إن تاب وأصلح وبيّن. وأرى هذا زيادة في التشديد عليه، لا سيما وأن المؤلف قد ذكر مراراً ما يفيد علمه بتوبة ابن عقيل فأي وجه لهذا التنكيل بعد علمه بتوبته ورجوعه عما كان عليه وإعلانه ذلك على الملأ؟!!.

بها. ولكنّ الله تعالى يفعل ما يريد. ولكنّا قد نبّأنا عنه في تبطيلها وبيان حالها ليزول اغترار المغترّين بها.

ونحن نشفع الله تعالى في العفو عنه وعنّا و[أن] يقبل توبته وتوبة جميع التائبين. ونسأله تبارك وتعالى أن يثبتنا على دينه وسنّة نبيّه ﷺ ويوفّقنا لاتّباع سلفنا الصالح ولزوم طريقتهم ويجعلنا معهم يوم القيامة ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1] برحمته وكرمه.

وأوصّي إخواني - وفّقهم الله تعالى - بلزوم كتاب ربّكم سبحانه وتعالى وسنّة نبيّكم ﷺ والعضّ عليها بالنواجذ واجتناب المحدثات. فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة. ولا تغترّوا بمقالة قائل يصرفكم عمّا كنتم عليه من السنّة كائناً مَن كان. فإنّه لا يزيد على نبيّكم ﷺ ولا على صحابته الكرام ولا على إمامكم إمام السنّة بالاتّفاق أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل ولا على الأئمّة الذين كانوا في عصره وقبل عصره وقد بلغكم وذكرنا لكم بعض ما كانوا عليه وبعض وصاياهم. فلا تنحرفوا عن ذلك بقول أحد وإن ظننتموه إماماً كبيراً. فإنه رُوي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّه قال: وزيغة الحكيم. وقال عمر رضي الله عنه ثلاث يهدمن الدين: زلّة عالم وجدال منافق بالقرآن/ وأئمّة مضلّون[2]. ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّي لأخاف على أمّتي ثلاثة: أخاف عليهم من زلّة العالم ومن حكم جائر ومن هوى متّبع»[3]. وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ»[4].

---

(١) سورة النساء: آية ٦٩.

(٢) رواه الدارمي ١/ ٧١.

(٣) قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني. وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف. وانظر ضعيف الجامع الصغير للألباني رقم (٢٢٠).

(٤) تقدم تخريجه.

وقد أراكم الله عبرة في هذا الرجل الذي اعتقدتم غزارة علمه كيف قد زلّ هذه الزلّة القبيحة، فلا تغترّوا بأحد ثمّ وإيّاكم والكلام في المسائل المحدثات التي لم تسبق فيها سنّة ماضية ولا إمام مرضيّ، فإنّها بِدَع مُحدَثة. وقد حذّركم نبيّكم ﷺ المحدثات فقال ﷺ: «إيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة». وقال ﷺ: «شرّ الأمور محدثاتها»[1]. وذلك مثل مسألة النُّقَط والشَّكل، ومسألة تخليد أهل البدع في النار، وأشباه ذلك من المحدثات والحماقات التي لا أثر فيها فيُتّبَع ولا قول من إمام مرضيّ فيُستمَع. فإنّ الخوض فيها شَين والصمت عنها زَين والمتكلّم فيها مبتدع خائض في البدعة مرتكب شرّ الأمور بشهادة الخبر المأثور. والله سبحانه وتعالى سائلٌ مَن تكلّم فيها عن كلامه ومطالبُه بحجّته وبرهانه.

قال سهل بن عبدالله التستريّ رحمه الله تعالى: ما أحدث أحد في العلم شيئاً إلّا يُسأل عنه يوم القيامة فإن وافق السنّة وإلّا فهو العطب. ومن سكت عن هذه الحماقات لم يُسأل عنها. وله في رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وتابعيهم أسوة حسنة. ونحن إن شاء الله تعالى أعلم بالآثار منكم وأشدّ لها طلباً، وقد رضينا لأنفسنا باتّباع سلفنا واجتناب المحدثات بعدهم. أَفَلا ترضون لأنفسكم بذلك؟ أَوَلا يسعنا ما وسعهم؟ أَوَ ليس لنا في السنّة سعة عن البدعة؟.

ومن لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وسلفه وأئمّته فلا وسّع الله عليه. ومن لم يكتفِ بما اكتفوا به ويرضَى بما رضوا به ويسلك سبيلهم وكلّ آخذ[2] منهم فهو من حزب الشيطان و﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3]. ومن لم يرضَ الصراط المستقيم سلك إلى صراط

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في الأصل «وأخذ».

(٣) سورة فاطر: آية ٦.

الجحيم. ومن سلك غير طريق سلفه أفضت به إلى تلفه. ومن مال عن السنّة فقد انحرف عن طريق الجنّة.

فاتّقوا الله تعالى وخافوا على أنفسكم فإنّ الأمر صعب. وما بعد الجنّة إلّا النار وما بعد الحقّ إلّا الضلال ولا بعد السنّة إلّا البدعة. وقد علمتم أنّ كلّ محدثة بدعة فلا تتكلّموا في محدثة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثبّتنا الله على السنّة وأعاذنا من البدع والفتنة برحمته وطَوله.

واتّقوا رحمكم الله المراء في القرآن والبحث عن أمور لم يكلّفكم الله تعالى إيّاها ولا عمل فيها. فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «المراء في القرآن كفر»[1]. ونهى السلف رضي الله عنهم عن الجدال في الله جلّ ثناؤه وفي صفاته وأسمائه. وقد نُهينا/ عن التفكير في الله عزّ وجلّ. وقال مالك رحمه الله ورضي عنه: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، ولا أحبّ الكلام إلّا فيما تحته عمل. فأمّا الكلام في الدين وفي الله عزّ وجلّ فالسكوت أحبّ إليّ لأنّي رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلّا ما تحته عمل[2]. والذي قاله مالك رحمه الله تعالى عليه جماعة العلماء والفقهاء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى. وإنّما خالف ذلك أهل البدع. فأمّا الجماعة فعلى ما قال مالك.

فإذا أردتم الكلام والتوسّع في العلم فابحثوا في الفقه ومسائله وأحكامه والفرائض ومسائلها والمناسخات وقسم التركات ومسائل الإقرار والولاء ودوره وجوه، ثمّ الوصايا ومسائلها، ثمّ المسائل التي تعمل بالجبر والمقابلة والحساب والمساحة. فلكم في هذا سعة عمّا قد نُهيتم عن الخوض فيه ممّا لم يتكلّم فيه سلفكم وكرِهه إمامكم ولا يفضي بكم إلى خير ولا تخلون فيه من إحداث بدعةٍ إمامكم فيها إبليس. يمقتكم الله بها

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٨٦ و٤٢٤، وابن حبان في صحيحه (٧٣)، وأبو داوود في السنة رقم (٤٦٠٣)، والحاكم ٢/٢٢٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٥، صون المنطق والكلام للسيوطي ١٢٠.

ويتبرّأ منكم نبيّكم ﷺ من أجلها ويفارقكم إخوانكم من أهـل السنّـة لمفارقتكم سنّة نبيّكم عليـه أفضل الصـلاة والسلام. وتُـرَدّون عن حوض نبيّكم ﷺ، كما قد جاء أنّه يأتي يوم القيامـة قوم إلى الحوض فيختلجون دون النبي ﷺ، قال: فأقول: «أصحابي! أصحابي! فيُقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: بُعداً وسُحقاً»[1]! أعاذنا الله وإيّاكم من ذلك.

ولكن إن لزمتم سنّة نبيّكم ﷺ وقبلتم وصيّته وسلكتم طريق سلفكم وتركتم الفضول فكونوا على يقين من السلامة وأبشروا بالفضـل والكرامـة والخلود في دار المقامة ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾[2]. وفّقنا الله تعالى وإيّاكم لما يرضيه برحمته آمين. والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد ونبينا محمدّ نبيّ الخير وقائد الخير ورسول الرحمة وسلّم.

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب في الحوض، وفي أول كتاب الفتن. ومسلم رقم (٢٢٩٠) في الفضائل، وأحمد في المسند٥/٣٣٣.

(٢) سورة النساء ٦٩.

فهـرس الآيـات

الآية	الصفحة
﴿أتأمرون الناس بالبر﴾	٦٧
﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾	٥٤
﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا﴾	٧٠
﴿والراسخون في العلم﴾	٥٠
﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾	٥٠
﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾	٥٨، ٦٠
﴿فسئلوا أهل الذكر﴾	٤٩
﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾	٦١
﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾	٥١
﴿قل لئن اجتمعت الإنس﴾	٥٨
﴿قولوا آمنا بالله﴾	٥٢
﴿كبر مقتاً عند الله﴾	٦٧
﴿ليس كمثله شيء﴾	٥٨
﴿محمد رسول الله﴾	٤٣، ٤٦
﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾	٦٩، ٧٢
﴿وأن تقولوا على الله ما . . .﴾	٥٤
﴿والسابقون السابقون﴾	٤٣
﴿وكلم الله موسى﴾	٥٨

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ ٦٦

﴿ولقد ضربنا للناس في. . .﴾ ٦٦

﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ ٦٧

﴿وما علمناه الشعر وما. . .﴾ ٦٦

﴿وما كنا غائبين﴾ ٦٣

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ٥٤

﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ٥٠

﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ ٣٤

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد. . .﴾ ٤٧، ٥٤

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ ٦٥

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ ٥٤

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ ٥٠

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه﴾ ٥٨

﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾ ٤٨

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾ ٥٠

﴿يا موسى إني اصطفيتك﴾ ٦١

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أصحابي أصحابي»	٧٢
«أصحابي كالنجوم»	٤٤
«اقتدوا بالذين من بعدي»	٤٤
«أمرت أن أقاتل الناس حتى. . .»	٤٨
«إن الله اختارني واختار. . .»	٤٣
«إياكم ومحدثات الأمور»	٧٠
«تركت فيكم أمرين»	٦٩
«شرّ الأمور محدثاتها»	٧٠
«عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء»	٤٣، ٥١
«كل محدثة بدعة»	٦٠
«المراء في القرآن كفر»	٧١
«من عظم صاحب بدعة»	٣٤
«لا تسبّوا أصحابي»	٤٣
«يؤتى بالرجل يوم القيامة»	٦٧

فهـرس الموضوعـات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
هذه الرسالة	٨
ترجمة المؤلف	١٠
آثاره العلمية	١٢
نظرة معاصرة إلى علم الكلام	١٥
وصايا المتكلمين	١٨
مصادر علم الكلام	٢٠
صور المخطوطة	٢٤
كتاب تحريم النظر	٢٧
المقدمة	٢٩
توبة ابن عقيل	٣٣
مذهب السلف في الصفات الله	٣٦
مذهب السلف من علم الكلام	٤١
فصل: في التقليد	٤٢
مذهب السلف من الاجتهاد	٤٨
فصل: في خبر الآحاد	٥٦
فصل: في معاني الصفات	٥٩
فصل: في المخالف من أهل البدع أو الأصحاب	٦٠

فصل: في كلام الله ٦٠
فصل: في إثبات حروف القرآن ٦٦
فصل: قوله بالبر ونسيان نفسه ٦٧
وصية المؤلف ٦٩